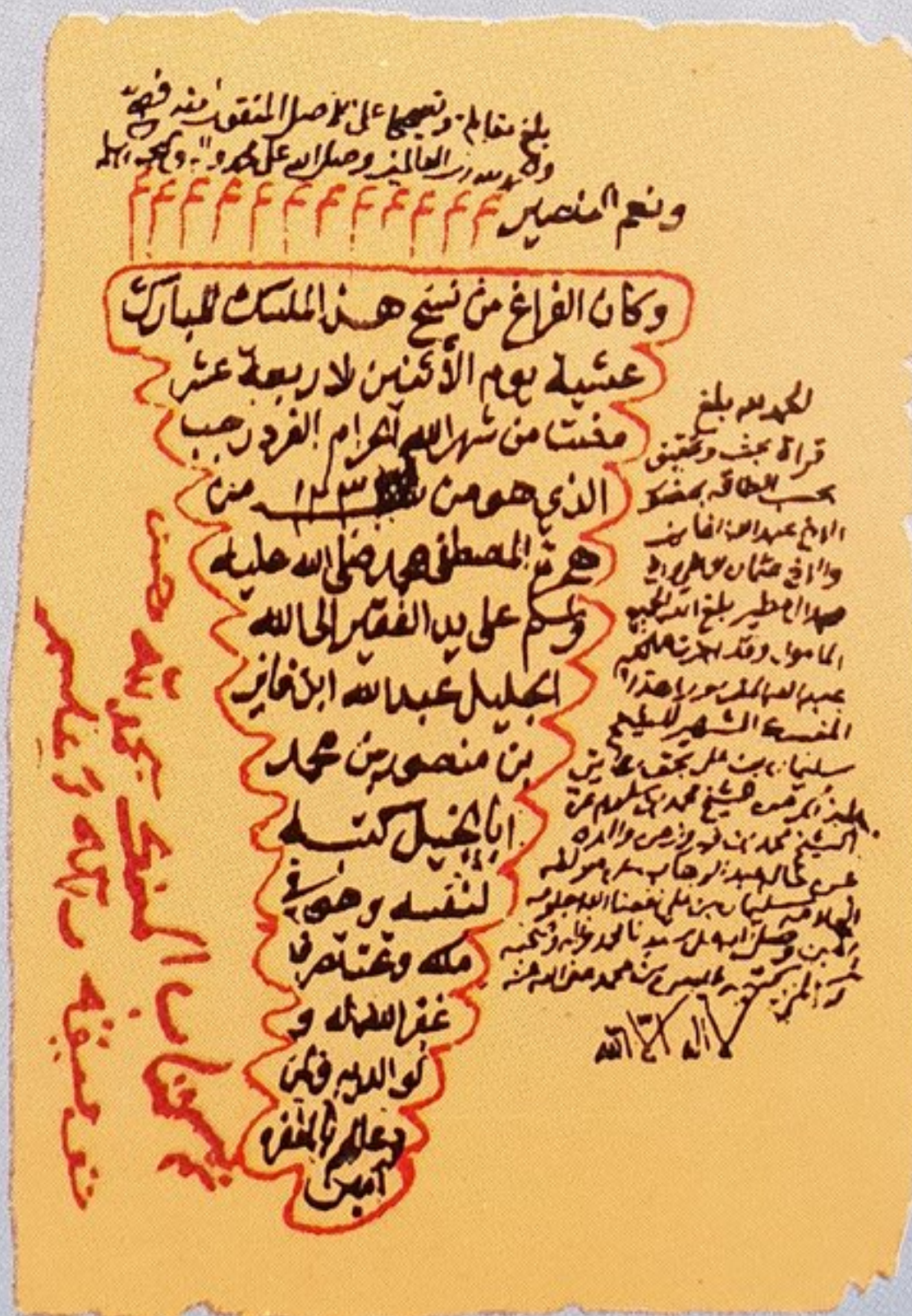


د. محمد بن سعد الشويعر

# تجريد

قبل ٢٥٠ سنة

نافذة على الحياة العلمية والثقافية والاجتماعية والسياسية



الناشر: إصدارات النخيل ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م



إصدار - ٧ -



بحث ودراسة

# بخد

قبل ٢٥٠ سنة

نافذة على الحياة العلمية والثقافية والاجتماعية والسياسية

تأليف

د. محمد بن سعد الشويعر

١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

الناشر: إصدارات بنخيل

يطلب من مكتبة النخيل  
الرياض / الملز / ت ٤٧٧٥٣٢٣

حقوق الطبع محفوظة للناشر







الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن الإنسان هو الذي يصنع الحضارة، ويبني معالمها بما وهبه الله من عقل، وما منحه من علم وقدرات.

كما أن الحضارة ومعالمها المتعددة، قوامها العلم الصحيح، ومنشطها الأمن والاستقرار.

وفي هذا البحث المختصر، الذي هو عبارة عن مقالات نشرت في الصحف، وضم بعضها إلى بعض سوف يلمس القارئ شواهد إيجابية أوردناها من قبل الاستثناس وليس التقصي، أردت من وراء تجميعها اثبات أن وسط الجزيرة العربية، منطقة نجد بالذات، وإن قلّ ما وصل إلينا علمه، مرصوداً في سجلات التاريخ، فإنه حافل بمعالم حضارية، فرقت بين جزء من سكانه وبين حياة البداوة والانتجاع خلف الكلا والمرعى.

وهي نتف تجمعت من مصادر عديدة، لتعطي إجابات محسوسة لأولئك الذين سلبوا المنطقة ورجاها كل مقومات الحضارة.

وقد حرصت على الاختصار، وإحالة القارئ للمصادر لكي يشبع نهمه العلمي، ويتوسع فيما يريد البحث عن معرفته بنفسه، لأن منهجي عدم التوسع، والإطالة، ولكن أعمد إلى الإشارات والدلائل، لأنه كما يقال في المثل: يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق.

وقد اقتصرت في هذا البحث على أحد عشر مظهراً حضارياً هي:

- |                                       |                               |
|---------------------------------------|-------------------------------|
| ١ - النظرة العامة مع نماذج من المعالم | ٢ - بناء المدن وتعمير البلدان |
| ٣ - الكتب والمكتبات وأوقافها          | ٤ - إطلالة على العلم والعلماء |
| ٥ - الإنجازات العلمية                 | ٦ - الوصايا                   |
| ٧ - الحصون والقلاع                    | ٨ - المعادن والصناعة          |



وأرجو أن يوفقني الله بإكمال الموضوعات الأخرى في طبعة ثانية . . . وهي لمحات تاريخية تجعل الباحثين يتحمسون للبحث والتجميع ، حتى يرصد المتناثر في تاريخ المنطقة المفقود . لإيجاد ما يعين على الدراسة واستجلاء الحقيقة ، ومعرفة ما كان يتوقعه الباحثون مندمراً . إذ في تاريخ المنطقة فجوة كبيرة فيما بين الدولة العباسية ، وقيام الدولة السعودية الأولى في عام ١١٥٨ هـ عندما تصافحت يدا الإمامين : محمد بن سعود ومحمد بن عبد الوهاب رحمهما الله ، وتعاهدوا على نشر دين الله ، وتصحيح عقائد الناس .

إذ بعد ذلك التاريخ تيسر معرفة الكثير من تاريخ المنطقة ، وإن لم يكن كاملاً ووافياً . . . لكن شيء خير من لا شيء .

واستسمح القارئ عذراً - مرة أخرى - في عدم التوسع بكل موضوع ، أو تحليل واستقصاء التنف التي مرت بنا خشية الإطالة والتكرار ، ذلك أن ما وصل إلينا من تنف تاريخية ، نجد فيها ظاهرة نقل كل مؤلف عن سبقه . مع زيادات لما عاصره الأخير من أحداث . وتلك المعلومات لا تغني فتية لمن يريد التوسع والشمول .

ولاشك أن مضان البحث كثيرة ، ولكنها قد تعز على أغلب الباحثين ، مع ما فيها من إبهات معتبرة ولفات تفتح آفاقاً مثل :

- ١ - ملكيات العقارات وقسمات الممتلكات .
- ٢ - الأوقاف والوصايا .
- ٣ - المعلومات الفردية التي يرصدها الإنسان لنفسه .
- ٤ - التعليقات على الكتب والهوامش .
- ٥ - المراسلات وما تحمل من أخبار إذ كانوا يهتمون بذلك في مراسلاتهم وتناقل ما لديهم من أخبار اجتماعية .
- ٦ - تقسيم الموارد وفض المنازعات .
- ٧ - الأحكام الشرعية والمخالفات .

وما يوجد في هذه أو غيرها يضيء شمعة على طريق التجميع والتحليل ، كما



يلقي نظرة عامة على الحالة الاجتماعية للبيئة، التي يراد الحديث عنها.  
ولعل جهود الباحثين في الدراسات العلمية في بلادنا، وما تتفتق عنه أعمال  
الجهات المسئولة عن البحث والآثار، وحماسة الشباب . . . كل هذا وغيره لعله  
يفتح آفاقاً في هذا الموضوع، ليكون بالمتابعة والتجميع، ما يزيد الحصيلة . .  
ويروي نهم الراغب في المعرفة، وفق الله الجميع لكل خير، وأعانهم على الوصول  
للغاية المنشودة والله المستعان.

١٤١١هـ







## السطوة العامة

لقد عاشت الجزيرة العربية عموماً، ونجد بصفة خاصة، فترة تاريخية معتمدة في نظر المؤرخين، حيث قلّ ما رصد من الأحداث، وضعف المصدر الذي تستقي منه الوقائع، وذلك خلال الفترة التي تلت دولة الأخيضرين في اليمامة ٢٥٣ - ٣١٧ هـ، ثم دولة القرامطة ٣١٧ - ٤٧٠ هـ، التي اعتمدت خلال قيامها سماء المنطقة عن المعلومات المتكاملة تاريخياً، اللهم إلا النزر اليسير، المقترن بأحداث هذه الحركة التي أقضت مضاجع المسلمين في كل مكان، بما بدر عن قادتها من أعمال مشينة، وسلب ونهب، بل تعدى الأمر إلى الدين، والأعتداء على الحرمات، وتحليل ما حرم الله عناداً ومكابرة، حيث ذكر ابن كثير والمسعودي وغيرهما عن هذه الدولة وأعمالها الشيء الكثير.

وهذه الدولة قد تلت دولة الأخيضرين، على رأي من يقول بانتهاء حكم الأخيضرين عام ٣١٧ هـ وقد استمرت حتى عام ٤٧٠ هـ عندما قضى العيونيون في الأحساء عليها<sup>(١)</sup> إلا أن سلطان العيونيين لم يمتد إلى نجد، فعادت نجد إلى حالتها السابقة بدون قيادة موحدة، وبقيت معزولة عمن حولها. وفي آخر أيام الدولة القرمطية - إن صح تسميتها دولة - نجد أن ناصر خسرو قد زار أجزاء كبيرة من منطقة نجد، حيث بدأ رحلته بعد نهاية الحج من عام ٤٤٢ هـ، مبتدئاً بالطائف التي وصلها يوم ٢٢ من ذي الحجة عام ٤٤٢ هـ الموافق ١٠ مايو ١٠٥١ م، وانتهى بالبصرة، بعد أن قطع رحلته تلك مخترباً نجداً، من الطائف إلى الفلج «الأفلاج» في الجنوب، ثم سرّبا وجزع والثريا ومطار فاليمامة والأحساء، ثم شمالاً إلى البصرة حيث وصلها في العشرين من شعبان من عام ٤٤٣ هـ الموافق ٢٨ ديسمبر ١٠٥١ م<sup>(٢)</sup> حيث تحدث بإيجاز عن المناطق التي مر بها.

(١) راجع مجلة العرب للشيخ حمد الجاسر مجلده ص ٧٨٦.

(٢) لراغب التفاصيل العودة إلى كتاب سقرنامه، رحلة خسرو ترجمة الدكتور يحيى الخشاب.



ورغم قصر المعلومات التي أعطى ، ونقص حديثه عما مر به من ديار، سواء بالاستعراض التاريخي ، أو الوصف وحكاية الواقع للمناطق وسكانها ، خلال هذه الرحلة ، إلا أننا نأخذ منها دلالة عن الحالة الاجتماعية والأمنية والعقدية التي تعيشها المنطقة . . نتيجة للتأثير القرمطي ، وانعكاسه على الظاهرة العامة على السكان ، ونظرتهم إلى القرامطة ، وانعزالهم عن الدولة العباسية في العراق ، وهي قرية منهم . . مما كان له أثر قوي في تنشيط الإرهابيات ، وتكوين القاعدة الشعبية الصلبة في الدعم لقيام الدولة العيونية بالأحساء .

إلا أن نجداً خلال هذه الفترة ، وما تلاها قد اسدل عليها ستار قاتم ، حجزت بموجبه المعلومات التاريخية ، اللهم إلا نتفاً يسيرة ، تأتي في أماكن متناثرة ، وعن أشخاص من هنا وهناك . . ولا نستطيع الجزم بأن هذه الفترة ، وحتى قيام الدولة السعودية الأولى المنظمة من عام ١١٥٨ هـ ، عندما تصافحت يدا الإمامين : محمد بن عبد الوهاب ، ومحمد بن سعود في الدرعية رحمهما الله ، وتعاهدا على نشر دين الله ، وإظهار الحق ، وتسيير الجيوش والدعاة لإبعاد الناس عن المزالق العقدية ، التي وقعوا فيها ، مثلما وقع فيها كثير من المسلمين في كل مكان ، ومطية ذلك الدعوة الدينية الإصلاحية ، تلك الدعوة التي لم تكن ذات تأثير خاص في الجزيرة العربية وحدها ، بل تعدى صداها إلى أنحاء بعيدة من المعمورة . . لأنها دعوة صافية نقية ، هدفها إعادة الناس إلى المنهج السليم الذي دعا إليه رسول الله ﷺ ، وطبقه أصحابه الكرام عملاً في المجتمع المدني ، ودعوة في الآفاق مع جحافل الجيوش الإسلامية ، التي أمتدت في الأرض لنشر دين الله ، وإعلاء كلمة الحق .

أقول إنني لا أستطيع الجزم بأن هذه الفترة الطويلة ، كانت بمعزل عن الأزدهار الحضاري والرصد التاريخي للأحداث ، والجهد العلمي في الإنتاج والتأليف .

كما أنني لا أستطيع أيضاً موافقة القائلين - وأكثرهم من الغربيين - بأن منطقة نجد لا يعيش فيها إلا القليل من البدو ، الذين يتنقلون في أرجائها ، بشظف من العيش ، ومع قلة من متطلبات الحياة ، وأهم ذلك الماء الذي يندر عندهم . . مما جعل هؤلاء القائلين يرسخون ما دعوا إليه بالقول : أنهم يتنقلون



من مكان لمكان طلباً للكلا، ويتقاتلون لأتفه الأسباب، ويسيطر عليهم الجهل المطبق، والفقر المدقع . . كما هي الحال قبل بعثة رسول الله ﷺ أو أشد.

وفي نظري أن هذه الأحكام لا ينبغي أن يسلم بها بمجرد اطلاقها، ولا ينبغي مرورها بدون تمحيص وموازنة وإن كان ناصر خسرو قد أعطى مثل هذه الصورة، فما ذلك - كما أسلفنا - إلا نتيجة للتأثير القرمطي الذي عزل المنطقة عمن حولها، وجعلها تعيش حقبة من الزمن بدون قيادة توجهها، لما اتصفت به هذه الطائفة من التعسف والمحاربة لتعاليم الإسلام، تلك الأعمال التي أبان المستشرق: «ميكال بان دي خويه» جزءاً منها في دراسته عنهم، وتجميعه النقولات التاريخية التي عاصرتهم، ورصدت الوقائع والتصرفات في حينها، ثم عاصرت من جاء بعدهم، فكان من ذلك نماذج عجيبة، من الأسلوب الفردي لنشر مبدأ معين، حيث يسلكون في سبيل ذلك أساليب متعددة كالإبادة والملاحقة، وغير هذا مما لم يعرف له التاريخ نظيراً.

ومن تلك الأعمال والتصرفات، استنتجت أن الشيوعية في العصر الحاضر بأساليبها في العنف، ومبادئها المنافية للشرف والذوق، وتعاليم الإسلام، ما هي إلا امتداد لأولئك في غالبية الأعمال والتصرفات، التي فيها الإشاعة في الجنس، وتحليل كل شيء ليصبح مباحاً أكله كالحمير والكلاب وغيرها. ولذا كانت هذه الطائفة غير مرغوبة في نجد، لأن منطقة الجزيرة العربية - نجد والحجاز بالذات - تختلف عن هؤلاء القرامطة في العقيدة والفطرة، نظراً لسبقهم في الإسلام، ودفاعهم عنه في جيوش الفتوحات، فكان من أسلوب القرامطة الوافدين أصلاً من مناطق خراسانية، المحاولة لقسر الناس بالقوة، على مذهبهم، وإجبار من يعترض مسيرتهم بالشدة والجبروت، وقد نتج عن ذلك خلو المنطقة من العناصر الطيبة، والقادرة على تفهم الوضع، والدفاع عن حوزة الإسلام، وذلك إما بالهجرة أو الموت<sup>(١)</sup>

(١) لراغب التفاصيل عن أعمال القرامطة مراجعة ماكتبه دي خويه عنهم في كتابه: القرامطة نشأتهم ودولتهم وعلاقتهم بالفاطميين: ترجمة وتحقيق حسني زينه . . والبيان المغرب في تاريخ المغرب لابن عذارى حيث يربطهم بالفاطميين.

## صناعات من معالم الحضارة

ومع كل ذلك فإن الباحث لا يعدم أن يجد معلومات جيدة، مرصودة في العصر الأموي، والعصر العباسي عن نجد تمثل النماذج الفريدة من معالم الحضارة مثل:

١ - شهرة مدينة ثرمداء بصناعة البرد الجيدة، التي تضاهي منسوجات صنعا المشهورة في زمانها بالتفوق. . فهذا الشاعر حميد بن ثور المتوفي في حدود عام ٣٠ هـ يقول:

ما بال بردك لم تمسح حواشيه من ثرمداء ولا صنعا تحير<sup>(١)</sup>  
وقد قال مقبل الذكير في تاريخه [١٢٩٩ - ١٣٦٣ هـ]: بأن ثرمداء لاتزال مشهورة بكثرة النسيج من ذلك التاريخ إلى ما يقارب مائة من الزمان<sup>(٢)</sup>.  
ومن المحتمل أن مقبل هذا، كتب تاريخه ما بين عام ١٢٤٥ هـ. . وعام ١٣٥٥ هـ. . مما نخلص منه إلى امتداد شهرة ثرمداء بالنسيج وصناعته من العصر الجاهلي حتى حدود عام ١٢٤٥ هـ.

٢ - ذكر الدكتور عبدالله محمد السيف، في أطروحته للدكتوراه، أن سدوس القرية من الرياض من الناحية الشمالية - حوالي ٦٥ كم تقريباً -، وهي ما بين العيينة وحريملاء، كانت في العصر الأموي مشهورة بالerman وجودته، حتى أنه لو خرج منها ألف حمل في يوم واحد لما تأثر ما فيها، وأن مائة الرمانة تباع بدرهم<sup>(٣)</sup>.

٣ - وذكر ياقوت الحموي [٥٧٤ - ٦٢٦ هـ] خصوبة بلدة سدوس<sup>(٤)</sup>، وكثرة نخيل ملهم القرية منها، مستشهداً بأبيات شعرية، منها قول جرير [٣٨ - ١١٠ هـ]:

- (١) انظر معجم البلدان لياقوت الحموي ٢: ٧٦.
- (٢) مخطوطة مقبل الذكير التاريخية ورقة ٦٦ الوجه الايمن.
- (٣) راجع مخطوط الحياة الاقتصادية في نجد والحجاز في العصر الاموي للدكتور عبدالله السيف.
- (٤) معجم البلدان ٤ : ٣٤٠.



كأن حول الحي زلن يبانع من الوارد البطحاء، من نخل ملهما<sup>(١)</sup>

٤ - والهمداني في صفة جزيرة العرب المتوفى في عام ٣٣٤هـ، والأصفهاني في كتابه بلاد العرب المتوفى عام ٢١٠هـ، وياقوت الحموي في معجمه المتوفى عام ٦٢٦هـ، كل هؤلاء وغيرهم من الباحثين العباسيين، قد اهتموا بالجزيرة العربية، وقدموا عنها معلومات تنبىء عن واقعها في تلك الأزمنة. . مما نأخذ منه دلالة بأن ذلك ثمرة حضارية جيدة، هي نتاج علم، وسعة اطلاع واستقراء، مما يشير إلى أن ستاراً أسدل على المنطقة مع قيام القرامطة، طمست معه معالم كثيرة من الرصد والتوضيح، وضاع معه جزء مما قد يكون دون.

ومازلت مقتنعاً بأن هناك معلومات لازالت في خفايا التاريخ، إما أن تكون قد ضاعت مع ما ضاع من تراث العرب والمسلمين في العصور المختلفة، كما حصل في بغداد بعد سقوطها في أيدي التتار أو في قرطبة بعدما استولى عليها فرديناند وزوجته إيزابيلا، بل أقرب من ذلك ما ضاع من ثروات علمية في القيروان عام ٤٤٩هـ بعدما هدمها الهلاليون، وقتلوا سكانها الذين لم يستطيعوا النجاة بأنفسهم.

أو أن شيئاً من ذلك لايزال نائماً، وسيأتي من الدارسين والباحثين من ينقب عنه، ويبعثه من رقدته التي طالت، وقد ظهرت بوادر ذلك في البحوث والرسائل العلمية للشباب، حيث أن ثروات علمية قد أخذت أو أحرقت، فقد ذكر ابن بشر نماذج ذلك، في الفوضى التي تلت سقوط الدرعية، وحملة إبراهيم باشا على نجد ومن ذلك ما ذكره في حوادث عام ١٢٣٦هـ، أن العساكر نهبوا بيت الشيخ عبدالعزيز بن سليمان بن عبد الوهاب في حريملاء، وأخذ من عنده خزانة كتب عظيمة، فأخذ الزلي قاضي حسين بيك أحمالاً واشعلوا النار في باقيها، وعذب بالضرب وأنواع التعذيب<sup>(٢)</sup>.

وإن من مهمة الباحث أن يتتبع الآثار، ويستجمع الدلائل، ويربط المعلومات، ليعطي الصورة كما تدل عليها القرائن، ذلك أن كل نوم مهما طال لا بد أن يعقبه يقظة، وكل ظلمة سوف يحلو دجهاها النور. .

(١) معجم البلدان ٥ : ١٩٦.

(٢) انظر عنوان المجلد لابن بشر: ٤٥٥ - ٤٥٦.

وفي بحثنا هذا، الذي اعتبره قاصراً، واستميج القارىء عذراً عما يجد فيه من ثغرات، كما يقول بذلك الشاعر:

إن تجد نقصاً فسد الخلالا جل من لا عيب فيه وعلا  
إذ سأحاول تلمس النتائج فيما أجد من نصوص، حتى تتظافر الجهود - إن شاء الله - ويأتي مع القليل توابع، ليضم كل جديد على ما سبقه، ومن ذلك تكون الحصيلة، لأن القطر مع القطر، تنحدر به المياه. فيسيل الوادي  
وكمدخل لما نحن بصدده، عن إبانة المعالم الحضارية في نجد، قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، فإن دعوة الشيخ هذه التي بدأت في التنظيم والقيادة منذ عام ١١٥٨هـ عندما تعاهد الإمامان محمد بن سعود، ومحمد بن عبد الوهاب رحمهما الله، على إعلاء كلمة الله والدعوة لدينه، تعتبر في العرف التاريخي، أول يقظة اصلاحية في العالم الإسلامي بأسره، وأول حكومة منظمة في تاريخ نجد الحديث.

وهذه الأولوية، تعطي قاعدة صلبة من العلم والفكر، اللذين هما الزاد المكين، والوقود المحرك للحضارة، وازدهارها، حيث أصبحت الدرعية معقلاً علمياً، وجامعة تستقطب المتطلعين للمعرفة، فقد ذكر ابن بشر أن الناس يلتزمون حلقات العلم بعد صلاة الفجر حتى ارتفاع الشمس، ثم يذهبون لأعمالهم طوال النهار، وفي المساء يعودون لحلقات العلم في المساجد.  
ونقل عن ابن عبيد<sup>(١)</sup> قوله: وذكر لي أنه مرّ على الدرعية زمان كان بها أربعمئة عالم كلهم كانوا أهلاً للقضاء، وأن قرية من قرى الوشم، وهي أشيقر مرّ عليها زمان وهي تضم ثمانين عالماً، كلهم يحملون مؤهلات القضاء<sup>(٢)</sup>.

فالحضارة لا يقيمها إلا الرجال المتعلمون، وتتكيف بحسب الوضع المعيشي، والاستقرار الاجتماعي، ذلك أننا ما سمعنا في يوم من الأيام أن عالم الحيوانات: من جمال أو بقر أو قرود وغيرها، أقام حضارة، وشيد مدناً، لأن العقل الذي يحرك الفكر والرغبة العلمية معدوم لدى كل نوع منها، وميز الله به الإنسان، فكان مكلفاً، وكان حضارياً.

(١) مؤرخ معاصر من القصيم خرج كتابه هذا في ٥ أجزاء.

(٢) راجع تذكرة أولى النهى والعرفان ١ : ٥٦.



كما أننا لم نسمع عن أمة جاهلة وبدائية، عديمة العلم والمعرفة، قد رصد لها التاريخ حضارة وبان عنها معالم تستحق أن تثبتها كتب التاريخ، كما هو واقع العرب قبل الإسلام.

وضمن النظرات التي يتحف بها عدد من الباحثين في هذا العصر قراءهم، وما يبرز عن جهودهم الطيبة في البحث والاستقصاء، والمتابعة، تتكشف للمهتمين بعض الأشياء المهمة، التي يبرز للمهتم تأثيرها في الواجهة الحضارية. . مما يبرهن وجود كنوز كثيرة في تراث هذه المنطقة ينتظر المزيد من الجهد الموفق والاستنتاجات المستنبطة مما رصد، أو قيل في مختلف المجالات ولجامعة الملك سعود في ميدانها المتخصص في الآثار دور في إمالة اللثام عن أشياء ذات أهمية من الناحية الحضارية، كما بان من الآثار الأولية في الفاو. . . والربذة وثاج، وهذه الأمور بداية لمرحلة طويلة من الكشف والاستقصاء.

ذلك أن أبناء الجزيرة العربية كغيرهم من الأمم، يسري عليهم ما يسري على سواهم من الرغبات والنوازع، ويحرك ذلك جذور تأريخية وعقدية، ترتبط بالرسالة المحمدية ودولة الإسلام في المدينة، ثم في دمشق وبغداد.

كما أن حضارة وسط الجزيرة العربية كغيرها من الحضارات، يحركها العامل الرئيسي وهو الماء. فهو رمز الحياة والاستقرار، فيهاجر الناس من مكان إلى مكان حرصاً عليه، وتقوى حياتهم بوفرته، ويضعف جانبهم بقلته. . إذ تهاجر الجماعات التي تسكن في جهة ما، إذا حلّ بها الجفاف زرافات إلى المكان الذي يتوفر فيه أهم عنصر من عناصر مقومات الحضارة، وتوفر المعرفة وهو الماء. . تاركة وراءها كل ما تملك في سبيل الإبقاء على الحياة، وصدق الله إذ يقول ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾<sup>(١)</sup>.

إذ ما وصل إلينا خبره في تاريخ ابن بشر [١٢١٠ - ١٢٩٠هـ] والفاخري [١١٨٦ - ١٢٧٧هـ] وابن منقور [١٠٦٧ - ١١٢٥هـ]، وغيرهم، واخترت هذه المصادر الثلاثة بالنص، لأنها أوفى من تحدث في موضوع الناحية الاجتماعية في تاريخ نجد والأحساء، وفي رصد ما جرى فيهما من أحداث بإيجاز، وبالأخص نجداً.

(١) سورة الأنبياء آية ٣٠.

ذلك أن القاريء لإنتاجهم التاريخي يراهم يذكرون الجفاف والقحط والآفات التي تحصل في نجد . ويزيد كل واحد منهم توضيحاً بالإفادة عن الهجرة البشرية من المناطق الزراعية أو إليها . بحسب الظروف والأجواء . . وغيرهم عالة عليهم .

فهم من المنطقة ، حيث ولدوا وعاشوا ثم ماتوا ، ولم يبرحوها براحاً يقطع صلتهم بها وبأهلها وأحداثها . . فمن احتك بأهل البلاد ، وعرف بيئتهم والأمور المؤثرة في السكان ، والعوامل الجوية ، أقدر من غيره على التعبير والإبانة . فأمثال هؤلاء ، وغيرهم ممن كتب عن المنطقة عن كثب ، مرآة صادقة تعكس وضع البلاد وما يدور فيها ، وما يؤثر في حياة أهلها الاجتماعية .

يقول ابن بشر في مقدمته لكتابه عنوان المجد : واعلم أن أهل نجد وعلماءهم القديمين والحديثين لم تكن لهم عناية بتاريخ أوطانهم ولا من بناها . . ولا ما حدث فيها ، وسار إليها ، إلا نوادير يكتبها بعض علمائهم هي عنها أغنى<sup>(١)</sup> .

فمنطقة نجد ليست كما يتوهمه كثير من الباحثين والكاثرين ، وخاصة الرحّالين والمهتمين بها من انجليز وغيرهم ، لأن هؤلاء يتكلمون من منابع خاصة ، ومطامع ذاتية ، حيث لا يكتبون إلا من منطلق أنها منطقة بدو ، وميدان صراعات قبلية ، وبعضهم لم يرها . . . ولم يحتك بأحد من أهلها .

بل إن قصة ثمامة بن أثال [ ١٢٠٠ - ١٢٠ هـ ] وإسلامه ، عندما منع الحب من اليمامة عن أهل مكة قبل أن يسلموا ، حيث عرفت بأنها ريف مكة<sup>(٢)</sup> ، تعتبر دليلاً على خصب ونماء وادي حنيفة وما حوله من مناطق اليمامة (الرياض حالياً وما حولها) ، حيث سمي الخرج خرجاً لأن محاصيله الزراعية تخرج على الحرمين<sup>(٣)</sup> .

وما حديقة مسيلمة الكذاب ، إلا نوع من الترف ووفرة الماء والمال وازدهار الزراعة ، ذلك المكان الذي قاتله المسلمون فيه عند حروب الردة ، حيث قتل فيه مسيلمة .

(١) انظر عنوان المجد في تاريخ نجد ١ : ١٤ .

(٢) انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة ١ : ٢٤٧ .

(٣) انظر معجم البلدان لياقوت ٢ : ٣٥٧ . وصف جزيرة العرب للهمداني ٣٠٧ .



وموقع هذه الحديقة قريب من بلدة الجبيلة التي دفن فيها صحابة رسول الله ﷺ الذين قتلوا في حروب الردة ضد مسيلمة ومن معه، وتبعد عن الرياض بما يقرب من ٤٠ كم نحو الشمال الغربي. إذاً هذه المناطق كانت آهلة بالسكان غنية بالمحاصيل الزراعية.

وكبرهان آخر على هذا النماء، فإننا نجد أخباراً عن معاوية بن أبي سفيان بأنه يرسل مزارعين إلى الخرج للإفادة من قدراتهم السابقة في ديار الشام، كما نلمس اليوم من إرسال الخبراء، وتبادل الخبرات. . كما نجد الدولة الأموية، ثم العباسية في فترة قوتها تستمران في تعيين ولاية على اليمامة. . وقد عددهم العجلاني في كتابه تاريخ البلاد العربية السعودية، منسوبة للشيخ البخاعة في هذا المجال: حمد الجاسر، حسب عهد كل خليفة، وقد كان عددهم ثمانية في العهد الأموي وستة عشر في العصر العباسي<sup>(١)</sup>.

ولعل كثرة الخصب والنماء في منطقة وادي حنيفة بالذات، هو الذي دفع ببعض الباحثين الغربيين بعد عصر البترول، وفي فترة ازدهار كشوفاته، إلى القول بأن وادي حنيفة كان واحداً من الأنهار، التي كانت سائدة في وسط الجزيرة العربية، حسب تكوينه الجيولوجي.

وهي فكرة قد تستمد أصولها وما يؤيدها، من منطوق الحديث الذي جاء في صحيح مسلم: «لا تقوم الساعة حتى تكون بلاد العرب مروجاً وأنهاراً» على رواية من يقول: حتى تعود وما ذلك إلا أن وادي حنيفة مشهور بكثرة مياهه، حيث كانت الأشهر تمر به، وهو مستمر في جريانه من وفرة الأمطار، وكثرة السيول، فقد روى ابن غنام [١٢٢٥ - ٠٠٠ هـ] في تاريخه: أنه في عام ١٢١١ هـ نزلت أمطار غزيرة على المنطقة، فدمر مدينة الدلم بالخرج عن آخرها، وأنزل أضراراً من حريملاء شمالاً حتى الخرج جنوباً بالزروع والبيوت والنخيل. . إلى أن قال واستمر يجري وادي حنيفة من غير مطر<sup>(٢)</sup>. . ومعلوم أن هذه المسافة التي ذكر تصل إلى مائتي كيلو متر أو تزيد.

(١) راجع هذا الكتاب ١ : ٤٤٩ . وانظر مجلة العرب ج ٣ م ١ ص ٢٧٧ - ٢٧٩ .

(٢) راجع تاريخه : روضة الأفكار والأفهام الطبعة الأولى ٢ : ١٩٨ .

أما سادلير الأنجليزي ، الذي يعتبر نفسه أول أوروبي تطأ قدماه نجداً ، بل أرض العرب - كما يقول - فقد رأى أمطاراً وخصباً عندما مرّ بالرياض والدرعية ، رغم أنه جاءها في شهر أغسطس في السنة التي هدم إبراهيم باشا الدرعية فيها ١٢٣٤هـ ، فقد ذكر نفعاً تعطي ذلك المدلول ، فهو يقول تحيط القريتين : الرياض ومنفوحة ، أشجار النخيل الكثيفة التي تروي رياً جيداً من الآبار العميقة ، وتسيل المياه في موسم الشتاء ، وتتدفق في الوادي فتشكل مجرى كبيراً طافحاً . كما ذكر : نزول أمطار غزيرة في منتصف صيف هذا العام ، وأن وادي حنيفة عندما رآه في الدرعية ، قد شبهه بنهر حيث أسماه كذلك<sup>(١)</sup> وسادلير مرّ بالرياض والدرعية في شهر أغسطس .

وبمثل هذا الاستدلال نجد الشيء الكثير عند ابن بشر في تاريخه ، ولدى الفاخري والمنقور في نبذتيهما وهما من أرّخ للفترة التي سبقت الدولة السعودية الأولى . . . وإبان قيامها . . . كما أتى كل منهم وكذلك ابن غنام بنتف عن الفترة التي سبقت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب . . . وهذه الفترة هي التي نحاول تجميع بعض المظاهر الحضارية فيها . . . من باب تسليط الضوء ، واستجلاء الحقيقة ، فربما تتوفر المعلومات الأكمل والحلقات المتصلة ، من أي مصدر كان ، تاريخاً أو شعراً أو كتابة أو حكاية . . . أو مخطوطات أو حفريات أثرية . . .

---

(١) راجع النص الأنجليزي لرحلة الكاتبة ج. ف. سادلير بمكتبة أرامكو رقم 5.2.sc.2 أو الظهران .



## المدن والعمير والمدن

المدن، وأماكن تجمع الناس فيها للسكن والاشتغال بالأعمال المتعددة، رمز للتحضر، لأنهم اختاروا ترك البداوة، والبعد عن حياة التنقل خلف المواشي، طلباً للكلا، وانتجاعاً للأرض وراء مساقط المطر.

وهذه الحياة الجديدة، تستلزم الاتجاه نحو طلب العلم، وتسهيل طرقه، والتفكير في الحرف المختلفة، كمصدر رزق يقات منه الإنسان، ويتبعها التنافس في الإجابة، وإعمال الفكر وشحن الذهن.

ونجد - حسبنا وصل إلينا علمه، من التفت التاريخية - قد كثرت فيها بصورة عامة، حركة إنشاء أو إعادة تعمير للمدن والقرى، في الفترة ما بين القرن الثامن، حتى بدء دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، رحمه الله، والتحامها مع آل سعود، على يد الإمام محمد بن سعود رحمه الله، في تكوين دولة منظمة، تنطلق من الإسلام شريعة ومنهجاً في عام ١١٥٨هـ.

ومن هذا الجانب فإننا لا نستطيع أن نعتبر المنطقة خالية من الأحداث التاريخية، ولا من مقومات الحضارة لتوفر أسبابها.

ذلك أن في نجد بلداناً كثيرة، مشهورة بمكانتها، ومراكزها منذ تلك الحقبة التاريخية أو قبل، ولا تزال معالمها باقية، وبعضها أخذ اسماً آخر في غير مكانه أو بجواره. كما أننا لن نتعرض لما اكتشف أثرياً، لأنه يسبق الفترة التي نتحدث عنها.

وهنا أيضاً لن نتعرض لقدم كثير من البلدان والمواقع في نجد، ولكن سنلم بما تراءى أمامنا، باستقراء تأريخي عن حركة جديدة دبت في المنطقة في هذه الفترة.

هذه الحركة، التي تعتبر منطلقاً حضارياً، كانت إيذاناً ببدء حياة جديدة مستقرة، وتحول جديد في المنطقة.

والذي استنتجته من واقع النصوص التاريخية، أن منطقة اليمامة خاصة - الرياض وما حولها ونجداً بصفة عامة، قد بدأت تزدهر من جديد، وتأخذ طابع

الاستقرار، بعد انعزالها بسبب الأحداث التي انصبت عليها فترة من الزمن ولبعدها عن مقر الخلافة من ناحية أخرى فأهملت . . حيث بدأ نمو المدن وعمرانها، وازدادت الهجرة إليها لخصبها ولتزايد فرص العمل فيها.

وهذا ما يسمى في العرف الاقتصادي الحاضر: النمو والاستقرار، والهجرة المعاكسة. ولما كانت العادات قاهرات، فإن هذا المنحى قد أخذ طابعاً راسخاً من النفوس، وسار في قالب عادة متمكنة من البيئة، إلى حد ما، هي الناحية القبلية، والخضوع لعرفها ومقاييسها. ولعل رصد بعض تلك الوقائع، واستنتاج أبعادها، لما ينير أماننا طريقاً جديداً، ويبرز لنا معلماً واضحاً، نتلمس منه الاستشهاد لما نحن بصدد الحديث عنه . . في مثل النصوص التالية:

**أولاً:** يقول عثمان بن بشر [١٢١٠ - ١٢٩٠هـ]: كان جد آل مقرن الأعلى: مانع المريدي ومسكنه في بلدة الدروع من نواحي القطيف، ثم صار بينه وبين ابن درع رئيس حجر اليمامة مراسلة ومواصلة لما بينهما من الرحم. فاستدعاه من القطيف، وأعطاه من ملكه أرض المليبد وغصيبة، المعروفتين في الدرعية، فاستقر فيهما، وكان ما فوق المليبد وغصيبة، لآل دغثر الموجودين اليوم شهرة، فاستوطن مانع وأصحابه وبنوه إلى غصيبة، وما فوق ذلك من سمحة، ومن الوصيل إلى بلدة الجبيلة، إلى الأبكين: الجبلين المعروفين في تلك الناحية، إلى موضع حريملاء لحسن بن طوق<sup>(١)</sup>. وقد أثبت في مقدمته أن هذه الحادثة كانت في عام ٨٥٠هـ<sup>(٢)</sup>. كما قال بذلك الفاخري في تاريخه<sup>(٣)</sup>.

وقد أرجع المؤرخ إبراهيم بن صالح بن عيسى (١٢٧٠ - ١٣٤٣هـ) هذه القصة بعد أن أوردها، إلى عام ٨٥٠هـ القرن التاسع الهجري أيضاً<sup>(٤)</sup>. ومن هذه الحكاية نستنتج ما يلي:

١ - قد يكون مانع المريدي من المنطقة، وذهب هو أو أحد آبائه إلى منطقة القطيف التي تبعد شرقاً عن الدرعية بما يقارب ٤٥٠ كم، إما لفته قامت في

(١) انظر عنوان المجد في تاريخ نجد ١ : ٢٤٥.

(٢) نفس المصدر السابق ١ : ٢٤.

(٣) تاريخ الفاخري تحقيق الدكتور الشبل ص ٦٠.

(٤) راجع كتابه تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، بإشراف الشيخ حمد الجاسر ص ٣٦.

المنطقة . . وما أكثر ما يحصل في المنطقة من مشاحنات وتقاتل، كما يتضح نماذج من هذا في تاريخ الفاخري وتاريخ ابن منقور وتاريخ ابن بشر .  
وإما لأن مقومات الحياة، وشظف العيش، قد ضاقت بمن يسكن هذه الأرض بسبب الجفاف والقحط، أو لأي سبب من الأسباب التي تحصل كثيراً . فآثر البحث عن مكان أكثر ملاءمة وأوسع رزقاً، فكان القطيف الغني بمياهه، ومحاصيله الزراعية، هو المقصد .

أو أن هناك علاقة قبلية، وصلة مودة بين أهالي القطيف ونواحيها، وبين سكان هذه المنطقة من نجد، ذات جذور عريقة، وصلة وثيقة، حيث أوضح حسين خزعل في كتابه تاريخ الجزيرة العربية: بأن لمانع هذا ابن عم اسمه درع، وهو رئيس حجر والجزعة، الواقعتين قرب الرياض، وهو الذي استدعاه بعد مكاتبات بينهما<sup>(١)</sup> .

٢ - أن نجداً في هذا القرن - التاسع - ذات خصب ونماء، ووفرة في المياه، فالأرض مهيأة ومناسبة وتحتاج إلى من يعمرها، وهذا ما دفع ابن درع، خوفاً من وافدين جدد يضايقونه في مأمنه، أن يبحث عن قرابته لتساعده على توسيع الإعمار في منطقة وادي حنيفة الخصب، فالقراية أولى من غيرهم، وآمن شراً من الوافدين، الذين سوف يجذبهم الماء والنماء، وما يتبعهما من رخاء وسعة في الرزق .

٣ - أن هذا الوقت هو الذي استرعى انتباه الناس لهذا المكان، ولفت الأنظار إليه لجودته وتوفر مقومات الحياة فيه، إذ بدأ الناس يقدون، ويعمرون مساكنهم، ويستقرون بمزارعهم، ويتزايد عددهم . . حيث نتج عن ذلك قيام مجموعة من البلدان التي ازدهرت فيها بعد علمياً وحضارياً في امتداد هذا الوادي، وفي الأودية الواقعة عنه شمالاً، حتى وادي سدير المشهور بخصبه، وجودة محاصيله الزراعية مثل: العينة وحريملاء والتويم وتمير، وجلاجل والمجمعة، وغيرها مما سوف نحاول بإذن الله الإشارة إلى تاريخ تأسيس وبناء أو تجديد كل واحدة منهن، حسب ما وجدناه مرصوداً وموثقاً .

(١) انظر كتابه: تاريخ الجزيرة العربية ١ : ١٤٩ .



٤ - أن مانع المريدي - جد آل سعود - هذا لم يعد بنفسه، وإنما رجع من القطيف بأهله وعشيرته، لأنه قد رأى في المنطقة وفرة في مقومات الحياة، بما يغني هؤلاء ويطمئنهم على الاستقرار ومن ثم يغريهم بالهجرة الجماعية، لما سوف يتهيأ لهم من راحة نفس، واستقرار في الحياة.

**ثانياً:** في نفس العام ٨٥٠هـ يقول ابن عيسى: اشترى حسن بن طوق، جد آل معمر العيينة من آل يزيد من بني حنيفة، أهل الوصيل والنعمة، الذين من بقيتهم اليوم آل دغثير المعروفون في بلد الرياض، ورحل من ملهم، ونزلها وعمرها وتداولها ذريته من بعده<sup>(١)</sup>.

فلم يكن حسن بن طوق هذا، ليرتحل من ملهم البلدة العريقة، والمشهورة بمزارعها، والقديمة التي جاءت على ألسنة شعراء العصر الجاهلي، والعصر الأموي، لأنها معروفة بخصب واديها، وكثرة نخيلها، إلا لأن تحرّكاً ومنافسة قد جدّا، ولأن مصلحة مادية ظاهرة قد استهوت في وادي حنيفة، الذي أقبل عليه الوافدون، وأمتد فيه المستثمرون مسافات طويلة، تقدر بالمقاييس الحاضرة بعشرات الكيلومترات، التي تمتد في منطقة زراعية خصيبة وغنية بالمياه، مع أن المسافة بين وادي ملهم، ووادي حنيفة، الذي في جزئه الشمالي توجد العيينة، قريبة جداً.

ومن هنا فإن الرغبة في التملك، والانتقال من مكان إلى مكان، لم تأت إلا بعد وفرة أهم مقومات الحياة وهو الماء الذي به قوام الحياة، وجعل الله منه كل شيء حي، مما ترتب عليه ازدياد عدد السكان، ووفرة الراغبين في التملك، ذلك أن من يشتري فإنه لا يستبدل الأكثر بالأقل، وإنما العكس..

وهذا ما حصل فمثلاً أن مانع المريدي بنى واستوطن، ووفد إليه غيره حتى كبر المكان، فإن ابن طوق أيضاً استجلب الآخرين فنمت العيينة، وكثر سكانها، حتى أصبحت معقلاً علمياً وحضارياً في المنطقة، إلى أن سلبت منها الدرعية هذه المكانة.

لذا فإنني أتوقع بأن الحركة الاقتصادية، والوفرة المالية، كانتا خلف رغبة الناس في الإعمار الزراعي، وبناء المدن، ومن ثم وفرة السكان، وتكاثر

(١) انظر كتابه تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد بأشراف الشيخ حمد الجاسر ص ٣٥.

وقد قال : فهجر يوسف أبو ريشة ، ومعظم الوافدين معه إلى حريملاء ، عائدين إلى موطنهم بلاد الشام ، وذلك في السنة الثالثة والتسعين بعد الثامنة من الهجرة ٨٩٣هـ<sup>(١)</sup> .

٣ - يحدد ابن عيسى عام ٧٧٠هـ زمناً لبناء بلدة حرمة المجاورة للمجموعة ، ذلك أن إبراهيم بن حسين بن مدلج الوائلي ، انتقل من التويم إلى موضع بلد حرمة ، وهي مياه وآثار ومنازل قد تعطلت من منازل بني عائذ من بني سعيد فعمرها وغرسها وبنوه ، ونزل عنده كثير من قرابته وأتباعه<sup>(٢)</sup> .  
ولعل الذي حرّك إبراهيم هذا ، واستهواه في الانتقال والبحث عن موضع جديد ليعمره ويستوطنه هو وفرة المياه أيضاً ، وخصوبة التربة ، فأراد أن يخفف عن قرابته عبء التجمع في التويم ، لأن الرخاء متوفر في كل مكان ، والعنصر البشري يأتي تبع لذلك .

وقد كان له ما أراد من تجديد عمارة هذه المدينة ، فاجتمع إليه الناس رغبة في الاستقرار والهدوء ، ولأخذ بأسباب الحضارة ، وأهمها تعمير الأرض ، وإحياء الموات .

٤ - وفي عام ٨٢٠هـ يذكر ابن عيسى تعمير المجموعة ، وقصة هذا ، هو أن أول من سكنها عبدالله الشمري ، ثم وفد إليه الناس ، وتكاثروا عنده ، حيث شجعهم بالسكنى إلى جواره ، وذلك بإقطاعهم أراض ، ومدّهم بالممتلكات ، فقامت من ذلك الوقت بلداً قوياً يزخر بالعلماء ورواد المعرفة<sup>(٣)</sup> .

**رابعاً :** وفي تاريخ مدينة الرياض أورد الشيخ حمد الجاسر ، أشياء تدل على قوة بشرية متوفرة وقاعدة حضارية موجودة في حديثه عن مدينة حجر اليمامة ، التي كانت عبارة عن حارات متعددة ، ثم تناثرت المساكن فيها مع الحوادث إلى أن أصبحت قرى متكاثرة ، يغزو بعضها بعضاً ، مثل معكال والبنية ، ومنفوخة التي كانت في الجاهلية موطناً للشاعر الأعشى ، وغيرها مما تجتمع أخيراً تحت مسمى مدينة الرياض ، عاصمة المملكة العربية السعودية .

(١) راجع كتاب مدينة حريملاء ص ١٩ ، ص ١٤ - ٢٢ .

(٢) انظر تاريخ بعض الحوادث في نجد ص ٣١ .

(٣) راجع المصدر السابق ص ٣٢ - ٣٥ .

العشيرة، الأمر الذي يدعو للانتقال من حيز ضيق إلى مجال أوسع، وأفق أرحب، والأمثال العامية في نجد تقول: «سعة المكان من سعة الرزق». مما يدل على أن الرزق إذا اتسع، والفرص إذا سنحت، يجعلان صاحب العقلية النيرة يبحث عن مجال فيه متسع للعمل والإكتساب، وتحقيق الطموحات التي تتطلع إليها النفوس.

ولما كانت الأمثال العامية، هي الصورة المنبثة عما يتفاعل في النفوس، فإننا نجد نماذج تنبئ عن الهمة والنشاط في كل أمر مستحدث مثل: «بشر النخل بعمار جديد».

**ثالثاً:** وبالرجوع الزمني قليلاً مع المؤرخ إبراهيم بن عيسى، نراه يعطينا معلومات عن بناء البلدان والفترة التي تؤسس فيها المدن عادة تعطي مؤشراً بالهدوء والاستقرار، لأن البادية الرحل، وأجواء القلق النفسي، والخوف والقتال المستمرين، كل هذا إذا كان سائداً في بيئة، فإنه لا يعطي جواً معيماً على الإنشاء والتعمير، تلك الخصلتين اللتين يستتبع وجودهما توفر الزراعة، والهدوء والأمن، والتفرغ للعمل المثمر حضارياً.

تلك البلدان التي ذكر ابن عيسى هي :

١ - التويم عندما قال في سنة ٧٠٠هـ تقريباً عمرت بلدة التويم في سدير، عمرها مدلج بن حسين الوائلي وبنوه وعشيرته. . ذلك أن بني وائل حين كثروا في بلد أشيقر خافوا منهم الوهبة، أهل أشيقر أن يغلبوهم على بلدهم، فتمالأوا على إجلائهم بلا تعدد في دم ولا مال. . ثم ذكر الأسر التي خرجت، وأنهم استوطنوا بلد التويم، التي قد استوطنها من قبل، أناس من عايد بن سعيد، بادية وحاضرة، ثم جلوا عنها ودمرت، فعمرها بنو وائل المذكورون<sup>(١)</sup>.

٢ - لم يحدد ابن عيسى زمن انتقال آل أبو رباح إلى حريملاء من التويم، في حديثه المشار إليه عن التويم، لكن رواية نقلها صالح بن طعيس في كتابه عن مدينة حريملاء، توضح أن يوسف أبو ريشة، جاء من الشام ليعمر حريملاء، بناء على توجيه من والده، في حدود العمر الزمني الذي عمرت فيه العينة والدرعية،

(١) المصدر السابق ص ٢٨ - ٣١.



ومدينة حجر اليمامة مع قدمها، ورسوخ مكانتها، منذ أيام طسم وجديس البائدتين، فإنها تشكل في الفترة الزمنية التي نتحدث عنها مركزاً حضارياً، بوفرة سكانه، وسعة رزاعته وتعدد قراه، وتوفر مياهه وينابيعه.

ومن ذلك ما نقله عن صاحب كتاب السمط «سمط النجوم العوالي للعصامي»: بأن الشريف حسن بن أبي نمي جاء من مكة في عام ٩٨٦هـ - وهذا العام ضمن الفترة التي نتحدث عنها - غازياً لبلدة معكال - وهي الآن حي من أحياء مدينة الرياض - وحاصرها فترة من الزمن، بجنود قدرهم العصامي بخمسين ألفاً، حتى استولى عليها، وقتل من أهلها رجالاً، وأخذ منهم أموالاً، وأسر بعض رؤسائها عاماً كاملاً في مكة، ثم أطلقهم بعد أن تعهدوا له بدفع مقرر سنوي، وأمر في البلدة رجالاً يدعى: محمد بن عثمان بن فضل<sup>(١)</sup>.

**خامساً:** أما الشيخ عبدالله بن خميس فإنه يرى أن: بلد جلاجل، قد أعيدت عمارتها في مكانها الحالي عام ٧٠٠هـ<sup>(٢)</sup>.

وهذا التاريخ هو ذاته الوقت الذي أعيد فيه تعمير بلدة التويم القريبة منها شرقاً، حيث تصارعتا على السلطة وزعامة المنطقة فترة من الزمن، حسبما جاء في تاريخ ابن بشر، - عنوان المجد في تاريخ نجد - أثناء سرده للأحداث التاريخية، وحسبما أورده الفاخري في تاريخه عند مروره بالأخبار المقتضبة، ويؤيد هذا ما يلمسه المار بهاتين البلديتين من آثار الأسوار القديمة، وما روعي بهما من استحكامات.

**سادساً:** ومقبل الذكر [١٢٩٩ - ١٣٦٠هـ] في مخطوطته التاريخية، قد حرص على أن يتعرف على تواريخ بناء وسكنى البلدان، فنراه قد ذكر بعضاً وأعياه البحث عن البعض الآخر، وما ذكر زيادة عما مر بنا ذكره: ثادق في المحمل، والبكيرية في القصيم، ورغبة والصفراء في منطقة المحمل أيضاً.. وغيرها من القرى والمدن، لكن تواريخها ما بين القرنين العاشر، والحادي عشر<sup>(٣)</sup>.

(١) راجع مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ ص ٨٨. مع غيرها من الصفحات.

(٢) انظر معجم اليمامة ١ : ٢٧٣.

(٣) راجع هذه المخطوطة في عدة أماكن.

وعنه فيما يبدو أخذ إبراهيم بن عبيد عندما قال : عمرت ثادق عام ١٠٧٩هـ، ورغبة في نفس العام ١٠٧٩هـ والبير الجنوبي عن الصفرات عام ١٠١٥هـ. وحریملاء عمرت عام ١٠٤٥هـ، والقرينة عمرت عام ١١٠١هـ<sup>(١)</sup>.

ممن يؤكد أن استمرار الاستقرار، ووفرة المياه، قد طالت مدتها، لأن نمو المنطقة يتم مع توفر مسببات الاستقرار وما ذلك إلا أن زيادة في السكان قد طرأت، ورغبة البوادي الرحل في التوطن قد زادت، لأن جواً مستقراً قد خيم على المنطقة. مما استلزم التوسع في العمران، والزيادة في الرقعة المأهولة بالسكان المستقرين. الذين لم يتخلوا عن ارتباطهم الأسري والقبائلي عن أبناء عموماتهم في البادية. مما دفع هؤلاء المتحضرين إلى الأخذ بأسباب الحضارة المعهودة في الحواضر المحيطة بهم في أطراف الجزيرة، فساعد ذلك تلك النفوس، على التهيؤ للاستجابة لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والتجاوب مع الزعامة السعودية، في إقامة حكومة إسلامية يمتد نفوذها خارج المنطقة.

**سابعاً:** ولم تكن منطقة الوشم التي يسكنها بنو تميم في البداية، بأقل ازدهاراً عن هذه الأماكن والأودية الثلاثة التي مرت بنا: وادي حنيفة، ووادي ملهم، ووادي سدير، وما حولها من أودية وروافد، وإن كانت المجوعة وحرمة خارجتان عن وادي سدير شمالاً في منطقة تعرف بـ«العبله». هذه الأودية التي تكاثرت فيها القرى، واستقطبت السكان لخصبها، ووفرة مياهها. فقد كان أشيقر خاصة، والوشم عامة منبعاً لموجات بشرية متحضرة، ذهب كثير منهم في الآفاق المتعددة.

يقول الزبيدي [١١٤٥ - ١٢٠٥هـ] في تاج العروس نقلاً عن ياقوت الحموي [٥٧٤ - ٦٢٦هـ] عن بدوي من تلك الناحية: أن الوشم خمس قرى عليها سور واحد من لبن، وفيها نخل وزروع والقرية الجامعة فيها ثرمداء، وبعدها شقراء وأشيقر وأبو الريش والمحمدية، وزعم أبو عثمان عن الجرمانى: أنه ثمانون قرية<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر كتابه تذكرة أولى النهى والعرفان ١ : ٦٨.

(٢) انظر معجم البلدان لياقوت ٥ : ٣٧٨. وتاج العروس للزبيدي ٩ : ٩٤.

وأبو الريش والمحمدية لا وجود لهما الآن، كما أن بين ثرمداء وأشيقر ما يقارب ٥٠ كم طولاً.

وهذه الثمانون قرية، إن صحت لا يوجد لها الآن بقايا، إذ المعروف لدينا الآن من بلدان الوشم (١٢) بلداً فقط.

**ثامناً:** وسعد بن جنيدل يرى في المعجم الجغرافي - عالية نجد - بأن بلد الشعراء كان في أسفلها قصر «منزل» لعجل بن حُنيتم، شيخ قبيلة آل مغيرة، في القرن الحادي عشر الهجري، إلى أن ارتحلوا عنها وخربت منازلهم<sup>(١)</sup>. ويرى بعض الباحثين أن آل مغيرة، كان لهم دولة في المنطقة ذلك القرن، الذي سبق دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والدولة السعودية الأولى<sup>(٢)</sup>. . . كما كان لآل عريعر في الأحساء نفوذ في العيينة وما حولها ويمثلهم آل معمر في مدينة العيينة، وانتهت مكانتهم بعد قيام دعوة الإماميين محمد بن سعود، ومحمد بن عبد الوهاب<sup>(٣)</sup>.

**تاسعاً:** والشيخ محمد العبودي في كتابه المعجم الجغرافي - بلاد القصيم - تحدّث في الجزأين الثاني والرابع عن مدينتين كبيرتين في القصيم، وأفاض في إعطائه فكرة عن وصفهما الحضاري والعلمي، هما عنيزة، وبريدة. وقد ذكر أن بريدة قد اشتراها راشد الدريبي عام ٩٨٥هـ، وكانت لآل هذال المعروفين من شيوخ عنزة، فعمرها راشد هذا وسكنها، قال ذلك نقلاً عن المؤرخ إبراهيم بن عيسى في عقد الدرر<sup>(٤)</sup>. كما ذكر نقلاً عن الشيخ محمد بن مانع عن عنيزة بأنها أنشئت عام ٦٣٠هـ<sup>(٥)</sup>.

- 
- (١) راجع كتابه هذا ٢ : ٧٦٢.
  - (٢) بدأت دولتهم قبل دعوة الشيخ بأكثر من مائة عام ثم أنقرضت وآثار هذا القصر باقية حسب الحادثة التي ذكر المغيرة. . . راجع المنتخب في ذكر أنساب قبائل العرب تأليف عبدالرحمن المغيرة تحقيق د. إبراهيم الزيد.
  - (٣) بدأت دولة بني حميدة «آل عريعر» عام ١٠٧٧هـ وانتهت ١٢٠٧هـ راجع الأسر الحاكمة في الأحساء لابن عقيل ٢ : ٢٩.
  - (٤) انظر المعجم الجغرافي - القصيم ٢ : ٤٧٣، وعقد الدرر لابن عيسى ص ٧٥.
  - (٥) انظر المعجم الجغرافي أيضاً ٤ : ١٦٤٦.

أما الشيخ عبدالله بن بسام فيرى أن الذي أنشأها زهري بن جراح الثوري في أول القرن السابع الهجري<sup>(١)</sup>.

أما مدينة الرس فقد ذكر الشيخ العبودي نقلاً عن الشيخ إبراهيم بن ضويان [١٢٧٥ - ١٣٥٣هـ] بأن أول من سكنه بعد خرابه آل صقيه من بني تميم في جلوتهم من أشيقر في حدود المائة التاسعة من الهجرة، ثم باعوه على آل أبا الحصين<sup>(٢)</sup>.

وما أثبتناه هنا ما هو إلا دلائل على فترة زمنية، كانت تنبئ عن أرهاصات علمية، سوف نتحدث عن طرف منها في مواضع لاحقة من هذا البحث.

كما أننا لا نعتبر هذا الجانب المتعلق بالمدن استقصاء، إذ هناك كثرة من المدن والقرى عمرت وسكنت في الفترة السابقة لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، تركنا البحث والاستقصاء عنها للقارىء الراغب في الزيادة.

خذ مثلاً الدوادمي قال ابن عيسى عنها في وثيقة خطية بيده: إن أول من اشتراها جهيم، لكنه لم يحدد زمناً لهذا الشراء، إلا أن جهيم هذا، كما أخبرني بعض أحفاده قد جاء الدوادمي من شقراء، حيث يرجح أنه في القرن العاشر أو بداية الحادي عشر، وقال بذلك أيضاً الشيخ سعد الجنيديل، الذي لم يقف على تاريخ ثابت لتعميرها ونشأتها<sup>(٣)</sup> والقويعة في منطقة العرض أفاد عنها إبراهيم بن عيسى بوثيقة خطية بأن أول من اشتراها عبدالله بن محمد الضعيف - وهذا لقبه - بعد أن جاءها من شقراء<sup>(٤)</sup>، والذي نتوقعه أن هذا كان متزامناً مع وقت عمران الدوادمي.

ومثلما نلمس في عهدنا الحاضر، حيث الأمان والرخاء والاستقرار، محبة الناس في البقاء، والتوسع في عمران المدن والقرى، والاهتمام بالزراعة، وغيرها من أمور هي من التحضر والاستيطان، لأن الإنسان مدني بطبعه، ويمتد مع الأمن وتوفر المياه.

(١) راجع كتاب علماء نجد في ستة قرون ترجمة ابن حميد ٢ : ٩٨.

(٢) نفس المصدر ٣ : ١٠٢٦. وانظر الورقة الثانية من مخطوطة تاريخ ابن ضويان.

(٣) راجع المعجم الجغرافي في عالية نجد ٢ : ٥٤٠، وانظر كتابنا شقراء حيث نشرت الوثيقة ص ٢٠٠.

(٤) راجع كتابنا شقراء حيث نشرت هذه الوثيقة ص ١٩٩.



ففي تلك الحقب كانت الظروف مهيأة، ولكن بصورة أقل مما هي عليه اليوم، لأن الدولة أيدها الله تمنح القروض، وتعطي التسهيلات، وتدفع المواطن للعمل وبذل الجهد.

## العلم على العلم والعلماء

في الحديث عن بناء المدن، وإعمار البلدان يترأى أمام القارىء، أن هناك مؤثرات جذبت الناس إلى تغيير منهج حياتهم المتنقلة، ومسببات حركت في نفوسهم حب الاستقرار والدعة، ولا بد من أن يكون لهذه المؤثرات نتائج ملموسة، فالنفس عندما تهدأ، والفكر عندما يرتاح فإنهما لا بد أن يتحركا من أجل عمل آخر، يخدم البيئة والمجتمع، ويلبي متطلبات النفس، وهذا هو الرغبة في العلم، والبحث عن المعرفة، بعد أن تهيأت الأسباب لذلك، ودعت الحاجة الملحة إليه لمعرفة الأمور الشرعية، واستقامة العبادات، وتسيير أحوال الناس، وقضاياهم.

فالعلم هو أهم معالم الحضارة الذي تتطلع إليه النفوس، برغبة وإلحاح، واجتهاد مستمر، لأن النفوس لا ترتاح إلا بصدور أعمالها، وتسيير أحوالها، وتنظيم أمورها بالعلم الذي هو قال الله، قال رسوله.

وإذا كان أهم عنصر يشغل الإنسان في حياته، هو البحث عما يبقيه على قيد الحياة: الماء والغذاء، قد توفرا، مع حياة الاستقرار والهدوء.

فإن ذلك الإنسان لا بد أن يبدأ بعد هذا في استكمال ما يهيمه من شئون حياته، ومتطلبات نفسه، وأهم ذلك وألزمه وجدانياً، هي المتطلبات العقدية، التي هي لازمة له كلزوم الماء والغذاء.

وهذا المطلب لا يتحقق إلا بالسعي نحو العلم، وإزالة الغشاوة عن النفس، وتنظيم أمور الحياة.

وفي نجد عرفت أكثر البلدان التي مر بنا ذكرها، في الحديث عن بناء المدن، بالأزدهار العلمي، والوفرة المتوافدة إليها من الرجال لطلب المعرفة.

وقد رصد الباحثون معلومات متناثرة عن أسر فيها بكاملها، تعتبر منبع علم، ومجمع معرفة. وهذا طفح من الفيض العلمي، الذي أراه مؤشراً يعين في الوصول إلى تقديرات عن الحالة العلمية، في نجد آنذاك.

كما أن نسبة كبيرة منهم، خرجوا من نجد، رغبة في الاستزادة العلمية، أو الاستيطان في بلاد أخرى، مما يؤخذ منه، وفرة في العلماء، ورغبة ملحّة منهم في النهل من موارد العلم، مما فاض عن حاجة البلاد، واتسع مجاله في ميدان آخر.

١. **فأشيقر** : أزهرت علمياً حسبما وصل إلينا خبره، خلال الفترة التي نتحدث عنها وما عثر عليه من حصيلة عن أسماء العلماء فيها وبيوتاتهم، مع قلته فإنه يفوق حجم البلد، وتقدير سكانها، حيث اضطرت كثير من الأسر والجماعات العلمية، إلى الهجرة تبعاً لتوفر أسباب المعيشة الهنيئة في أماكن أخرى من جانب ومن جانب آخر لأداء حق العلم بإبلاغه للناس : تدریساً وقضاء.

وقد شمل هذا النزوح الاتجاه إلى أماكن في المنطقة الوسطى : كعائلة آل بسام في العيينة وعنيزة، وعائلة آل شبانة في المجمعة وسدير، وآل عبدالوهاب آل الشيخ محمد بن عبدالوهاب فيما بعد - في العيينة والدرعية وغير ذلك . بل امتدت أفنان هذه الشجرة الوارفة إلى شرق الجزيرة العربية وشمالها : في الأحساء والخليج، والعراق والشام ومصر، والحرمين الشريفين.

٢. **وبلدة العيينة** : استقطبت العلماء، فالشيخ أحمد بن عطوة<sup>(١)</sup>، والشيخ أحمد بن بسام<sup>(٢)</sup> والشيخ أحمد بن ناصر بن مشرف المتوفى بالرياض عام ١٠٤٩هـ، وغيرهم نماذج لبذور الازدهار بل إن الحصائل التاريخية، والنبد المتناثرة من المعلومات المرصودة، كانت من جهود أولئك، خلال تلك الحقبة الزمنية.

وقد تحدث الشيخ عبدالله بن بسام في مدخل كتابه : علماء نجد خلال ستة قرون، عن الحالة الحضارية والثقافية في نجد، وفي مناطق الازدهار، وأفاض في هذا، ليعطي فكرة عن الخلفيات التي كانت تكمن وراء هذا العدد الكبير، الذي أورده في كتابه هذا، من العلماء في فترة أغلبها طويلاً، وأكثرها عطاء، الفترة التي سبقت خروج الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله بدعوته

(١) راجع ترجمة حياته عند ابن بسام في كتابه علماء نجد خلال ستة قرون من ١ : ١٩٩، وقال توفي ٩٤٨هـ. وانظر سابقة ابن بشر لعام ٩٤٨هـ. عن وفاته وكتبه وتلاميذه.

(٢) انظر ترجمته في المصدر السابق ١ : ١٨٦. وقال توفي سنة ١٠٤٠هـ. وانظر روضة الناظرين للشيخ محمد بن عثمان القاضي.

الإصلاحية السلفية، وهي الفترة التي نتحدث عنها<sup>(١)</sup>، إذ لا شك أن دعوة الشيخ كانت فتحاً علمياً عاماً وشاملاً.

وقد ذكر عن أشيقر مركزاً علمياً مرموقاً، في مثل هذا النص، فهذه المدينة زحرت بالفقهاء، ووجدوا بها، حتى كان يجتمع في الوقت الواحد منهم، أربعون عالماً، كلهم يصلحون للقضاء، يوم كان القضاء لا يصل إليه، وبلوغ مرتبته إلا فطاحل العلماء وكبارهم<sup>(٢)</sup>.

وعن العينة يقول: هذه المدينة وجد بها العلماء وكثروا بها، ولقد حدثني والدي رحمه الله، وهو من حفظة التاريخ أن فيها أكثر من ثمانين عالماً، يدرسون العلم في جوامعها في زمن واحد<sup>(٣)</sup>.

وكتاب ابن بسام هذا، الذي أورد فيه ترجمه ٣٣٨ عالماً، ونظيره كتاب الشيخ محمد بن عثمان القاضي: روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، الذي أورد فيه ٢٧٧ عالماً في طبعته الأولى وارتفع عددهم إلى ٢٧٩ في طبعته الثانية، أغلبها متكرر مع ما أورده الشيخ عبد الله بن بسام، يتضح من ذلك للقارئ ورود ترجمة أكثر من ثمانين (٨٠) عالماً ممن سبقوا دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله..

٢ - وفي مخطوطتي: السحب السوابلة لابن حميد العريمضي [١٢٣٦ - ١٢٩٠هـ]<sup>(٤)</sup> ورفع النقاب عن تراجم الأصحاب للشيخ إبراهيم بن ضويان [١٢٧٥ - ١٣٥٣هـ]<sup>(٥)</sup>، يجد القارئ معلومات عن شخصيات علمية من نجد، ذات أثر في المجهود العلمي وتحصيله، والجلوس لطلاب العلم.. وعندما تخرجان للضوء مع أمثالهما سيجد القارئ معلومات إضافية، تعطي ملامح جديدة ومسلطة على الناحية العلمية، والاهتمام بها، وما ترتب عليها من مكانة، تنبئ عما وصلت إليه نجد في تلك الأزمنة، وإن كان الباحث لا يزال

(١) راجع مقدمة هذا الكتاب ١ : ١٥.

(٢) نفس المصدر ١ : ١٥.

(٣) نفس المصدر ١ : ١٥.

(٤) انظر ترجمته عند القاضي في روضة الناظرين ١ : ٢٠١ وفي مخطوطه ابن ضويان.

(٥) راجع مجلة الدارة العدد الثاني السنة الرابعة رجب ١٣٩٨هـ ومقالنا عن ابن ضويان.



مقتنعاً بوجود فجوة مفقودة، وأسماء منسية، وجميع كتب التراجم عن علماء نجد عالة عليهما.

٤. **وقد** تحدث المؤرخ الشيخ حمد الجاسر في مجلة العرب التي تصدر بالرياض عن المخطوطة الأولى السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، وذكر أسماء وتراجم مجموعة كبيرة من العلماء، والعالمات الذين لهم علاقة بهذه البلاد، لإفادة القارئ المتمعن، مما ينبىء عن أشياء كثيرة في الفترة التي نتحدث عنها. . وقد بلغني أن هذه المخطوطة طبعت في مصر بتحقيق ناقص.

ولعل ابن حميد هو أول من ترجم لعالمات من نجد جلسن لراغبات المعرفة يعلمنهن، ويشاركن في نشر العلم وتبليغه، وقشع الجهالة بأمور الدين عن بنات جنسهن، بعد خروجهن من نجد للزير وغيره<sup>(١)</sup>، ولهن مثيلات في نجد وهن المطوعات المنتشرات في كتاتيب النساء في مدن وقرى نجد.

٥. **وقد** تحدثت عن الثاني في عرض موجز ضمن حديثي عن ترجمة نشرت عن حياة الشيخ إبراهيم بن ضويان في مجلة الدارة التي تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز بالرياض، وتعرضت فيه، للجزء الأول الذي أطلعت عليه، ووجدت نسخة منه في خزانة المخطوطات بدار الكتب المصرية بالقاهرة، وينتهي بالشيخ محمد بن عبد الوهاب، وبه معلومات جيدة عن الحركة العلمية، وعن العلماء في الفترة التي نحن بصدد<sup>(٢)</sup>ها.

٦. **كما** ~~نظ~~ الدكتور عبدالله العثيمين الضوء على بعض المعالم الحضارية، والقوة العلمية في نجد، مع بعض التحليل والمناقشة والاستنتاجات، عن الفترة ما قبل الدعوة في مقاله الذي نشره في مجلة الدارة العدد الثالث، السنة الرابعة، الصادر في شوال سنة ١٣٩٨هـ، تحت عنوان: نجد منذ القرن العاشر حتى ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب<sup>(٣)</sup>.

(١) راجع مجلة العرب ٩ : ١٠ س ١٢ ص ٧٣٦٠٦٥٣، وقد أورد الشيخ حمد ترجمة ٥١ عالماً وعالمة من نجد.

(٢) راجع ذلك البحث المنشور بمجلة الدارة العدد ٢ السنة ٤ رجب عام ١٣٩٨هـ ص ٨٢ - ٩٩.

(٣) راجع هذا المقال في الدارة ص ٣٢ - ٤٥.

٧ - وهناك مجموعة من المؤرخين رصدوا بعض الأحداث التاريخية المتناثرة كابن منقور وابن بسام، ذكر الشيخ حمد الجاسر في بحثه عن: مؤرخي نجد من أهلها بعضاً منهم<sup>(١)</sup>. كما جاء ذكر غيرهم عرضاً في أماكن متفرقة، لكن ذلك لم يرو غليل المتطلعين للزيادة والمتأثرين بابن بشر، عندما تعرض لذلك في مقدمته للجزء الأول من تاريخه: عنوان المجد في تاريخ نجد.

٨ - الأستاذ منصور الرشيد من الباحثين المتبعين، حيث كان له نشاط في هذا المجال، بتجميعه لمعلومات عن علماء نجد وقضاتها قبل الدعوة، وبعدها، ولديه حصيلة علمية جيدة في هذا المجال ضمن مخطوطات ينتظر أن ترى النور قريباً إن شاء الله.

وقد تحصل على معلوماته تلك، من مصادر ليست مظنة للتعريف بالاعلام، أو بالإشارة إلى المجموعات الكبيرة من العلماء، ككتب الفقه والرسائل، والفتاوى والتعليكات.

مما ينبىء عن قاعدة علمية حضارية في نجد لا يستهان بها، وأن هذه الحركة تزداد قوة وضعفاً، وفق الحالة الأمنية، والاستقرار في البلاد وتوفير سبل المعيشة... إذ نموها سريع، وازمحلها سريع أيضاً... كما يروى عن الشافعي كلمة تدل على أن العلم لا يتيسر إلا بهدوء البال، وراحة النفس عندما قال: لو كلفني أهلي بشراء بصلة، ما حفظت من العلم ولا مسألة... هذا فيما وصل لنا علمه، أما ما ينتظر أن تسفر عنه البحوث أو الوثائق أو المعلومات المتناثرة بين مخطوطات وإجازات، أو معلومات لم تنشر، حيث شت بعضها، ولم يقع في أيدي المهتمين بعد أو ضمن دراسات تسفر عنها استنتاجات تراءى أمام الباحثين.

فإن ذلك عندما يلتئم مع أصله، سيضيفي على هذه المنطقة معلومات علمية، ونماذج حضارية جديدة.

وما سوف أذكره هنا من خلاصة المظاهر العلمية، والمكتبات في نجد، خلال الفترة الزمنية التي سبقت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، هو من باب تسليط الضوء على فترة زمنية، يظنها كثير من الناس معدومة المظاهر الحضارية، والعلم

(١) راجع مجلة العرب ج ٩ م ٥ ربيع الأول عام ١٣٩١هـ.

في مقدمتها، وهذا الذي أوردته ما هو إلا حصيلة قليلة من معلومات متناثرة عن المراجع السابقة، أرجو أن ينبري لها من لديه القدرة والكفاءة، لاستكمال هذا المشوار في بحث أوسع، وإحصاء أكمل، وأرجو أن يعذرني القارئ الكريم عن الذكر التفصيلي لكل مرجع، لأن ذكرها سينقلنا إلى تفتيت المعلومات، ومن ثم إطالة الحديث عن كل واحد من هؤلاء العلماء، إلى أضعاف الحجم لما أطرحه هنا وما ذلك من أجل انقاص قدر العلماء الأفاضل الذين سبقوني إلى هذا المجال واستفدت منهم، لأن سابقة الفضل لهم، ولكنه منهج سلكته، ومحمدة أقدمها لأولئك الأفاضل إذ في كتبهم تفاصيل أكمل، وجهود أكثر.

فأضع الملخص العلمي بين يدي القارئ موزعة كما يلي:

## أولا : القضاة :

اسم البلد وتسلسل العدد	قضاتها في القرن التاسع	قضاتها في القرن العاشر	قضاتها في القرن الحادي عشر	قضاتها في القرن الثاني عشر	المجموع
١ - أشيقر	٢	٥	١٤	٥	٢٦
٢ - ثادق	-	-	-	٥	٥
٣ - ثرمداء	-	-	١	١	٢
٤ - جلاجل	-	-	-	١	١
٥ - حرمة	-	-	-	١	١
٦ - حريملاء	-	-	-	٢	٢
٧ - حوطة سدير	-	-	١	٣	٤
٨ - الخبراء	-	-	-	١	١
٩ - الداخلة	-	-	-	١	١
١٠ - الدرعية	-	١	-	٢	٣
١١ - الدلم	-	-	-	٢	٢
١٢ - الرس	-	-	١	٢	٣
١٣ - رغبة	-	١	١	-	٢
١٤ - روضة سدير	-	-	٢	١	٣
١٥ - الرياض	١	٤	٣	٦	١٤
١٦ - العطار	-	-	-	١	١
١٧ - عنيزة	-	-	١	٦	٧
١٨ - العيينة	١	٢	٤	١	٨
١٩ - القرائن	-	-	١	١	٢
١٠ - القويعة	-	-	-	٢	٢
٢١ - المجمععة	-	-	٢	٥	٧
٢٢ - مرات	-	-	-	٢	٢

٢٣ - منفوحة	-	-	-	١	١
٢٤ - اليمامة	-	-	-	١	١
المجموع	٤	١٣	٣١	٥٣	١٠١

ويوجد بالقصب وملهم قاضيان جاءا متكررين في العينة وحوطة سدير، ولم نذكرهما لهذا السبب إذ لعل القاضي يقوم بعملين في بلدين لفترة زمنية موزعة بينهما، كما لاحظنا مثل هذا في بداية عهد الملك عبدالعزيز.

أو لعل القاضي عمل هنا فترة . . ثم انتقل إلى هناك فترة أخرى . . ولاشك أن وجود القضاة، إنما هو من وجود الاستقرار المحلي في الأحكام ومتابعة القضايا وهذا معلم حضاري مهم. فمثلاً في سوابق عام ١٠١٩هـ يقول ابن بشر فيها توفي الشيخ ابن عفالق قاضي العينة، وفي سنة ١٠٢١هـ مات الشيخ موسى بن عامر قاضي الدرعية<sup>(١)</sup>، وفي عام ١٠٤٩هـ توفي قاضي الرياض أحمد بن ناصر، وفيها حج العلامة سليمان بن علي، هذا ما رصد لفترة من الزمن، وقد يكون تخلل ذلك قضاة في فترات متتالية من الزمن أو لم يذكر بعضهم في فترات أخرى، لعدم وجود مبرر تاريخي، يدعوا لذلك ضمن التنف القليلة التي وصلت للقارىء.

(١) عنوان المجد ٢ : ٣٠٦.

(٢) عنوان المجد ٢ : ٣٢٢ وسليمان بن مشرف هذا هو جد الشيخ محمد بن عبد الوهاب.



## ملحق: العلماء

وإلى جانب هذا العدد من القضاة الذين يجلسون للناس في حل منازعاتهم، وجدنا مجموعة من العلماء الآخرين، الذين جاءت أسماؤهم في مواطن شتى: جمعها الأستاذ منصور الرشيد في مخطوطته عن علماء نجد... وله الشكر على ما يستر من الاطلاع عليها، وفيما يلي توضيح لعددهم حسب الفترة الزمنية، مع الثقة بأن العدد الأكبر من ذلك سيكشف عنه البحث العلمي الدؤوب.

المجموع	علماء القرن الثاني عشر	علماء القرن الحادي عشر	علماء القرن العاشر	علماء القرن التاسع
١٠٤	٥٧	٢٥	١٦	٦

وكل هؤلاء توفوا قبل مطلع القرن الثالث عشر، وفي سوابق ابن بشر سنة ٩٤٨هـ في ترجمة ابن عطوة. وعام ٩٦٨هـ ترجمة ابن سالم الحجاوي الحنبلي، وفي عام ١٠٣٣هـ في ترجمة مرعي بن يوسف ذكر لمجموعة من العلماء في نجد والأحساء تتضح منه المكانة العلمية.

## ملحق: العلماء

العلماء الذين رحلوا لطلب العلم قبل دعوة الشيخ محمد لخارج الجزيرة العربية، بلغ عددهم سبعة عشر عالماً، ويعلل الدكتور عبدالله العثيمين تناقص العلماء الممثل في طلبه العلم المسافرين للخارج للتزود علمياً، إلى أن الفقهاء الحنابلة في داخل نجد قد تكاثروا عددهم بسبب الازدهار العلمي من جهة، ومن أخرى إلى قلة فقهاء الحنابلة في الشام والعراق<sup>(١)</sup>.

ولكنني أميل إلى الرأي الأول من واقع ما لمست من تلك الكثرة من العلماء، وما جاء به ابن بسام من نتف عن مكانة أشيقر والعينية، وما جاء في تراجم

(١) راجع مقالته في الدارة العدد ٣ السنة ٤ شوال سنة ١٣٩٨هـ ص ٣٤.

الأشخاص الذين سبقوا دعوة الشيخ محمد، وما صاحب طلب الشيخ محمد رحمه الله من رغبة في الانتجاع للخارج لطلب العلم، كل هذا يدل على أن العدد أضعاف ما وصل إلينا. وأن بعضهم استقر في البلاد التي ذهب إليها<sup>(١)</sup>. ثم ما هجرة من ناوأ دعوة الشيخ محمد رحمه الله من نجد إلى الحجاز واليمن والأحساء والعراق، والشام وغيرها، إلا دلالة على أسلوب الترابط العلمي بين نجد وما جاورها، وسهولة الترحال في سبيله.

وقد بلغت المؤلفات الفقهية التي وصل إلينا علمها في ذلك الوقت ٢٨ مؤلفاً، كلها ألفت في تلك الحقبة، مع أن المعروف عنهم الزهادة في التأليف، والاكتفاء بما ألفت من قبل<sup>(٢)</sup>.

أما الذين بدأوا الكتابة في التاريخ، كما أبان عنهم الشيخ حمد الجاسر في مقالاته الثلاث، التي نشرت في مجلة العرب عن: مؤرخي نجد من أهلها، فهي: ست محاولات خلال الفترة التي نحن بصددتها أيضاً<sup>(٣)</sup>، وقد كان للشيخ مرعي بن يوسف الذي رحل إلى مصر لطلب العلم حيث استقر بها إلى أن مات، والشيخ ابن سالم المقدسي الحجاوي الحنبلي الذي رحل لطلب العلم إلى بلاد الشام ثم استقر بها إلى أن مات، والشيخ أحمد بن عطوه الذي رحل من نجد إلى دمشق لطلب العلم، ثم عاد إلى العيينة ليصبح مقصداً لطلاب العلم حتى توفي بالجيلة المجاورة للعيينة، لهؤلاء وأمثالهم مؤلفات كثيرة ورسائل ومناظرات كما كان للشيخ مرعي تاريخ ذكره ابن بشر<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر مثلاً ذيل مجموع المنقور في الفتاوي في التعريف بشيخه عبدالله بن ذهلان وعلى من درس

الفواكه العديدة ٢ : ٣٩٢.

(٢) من تلك المؤلفات مجموعة كتب للشيخ أحمد بن عطوه المتوفى عام ٩٤٨ هـ ذكرها ابن بسام في ترجمته ١ : ٢٠٣، والتحفة: مجموع ابن رميح المتوفى في عام ٩٧٠ هـ. ومجموعة كتب الشيخ أحمد المنقور المتوفى في عام ١١٢٥ هـ ذكر ابن بسام في ترجمته ١ : ١٩٦ وغيرهم.

(٣) راجع مجلة العرب المجلد ٥ الأجزاء ٩، ١٠، ١١.

(٤) راجع تراجمهم وأسماء تلاميذهم ومؤلفاتهم ومناظراتهم في سوابقه لعام ٩٤٨ هـ، ٩٦٨ هـ،

## الكتب والمكتبات وأوطانها

إن المتتبع لسير وتراجم الرجال العلمية، في الفترة الزمنية التي نتحدث عنها، ليدرك أن هنالك أسراً عرفت بالتسلسل العلمي، وتوارث الاهتمام بالمعرفة.

وهذه الأسر ذات انتفاء وأصالة، وحرص ودأب، مما يؤكد عراقتهم العلمية، ومقدرتهم على المحافظة بأسباب العلم، إذ يحتفظون بمكتبات اشتهرت في زمانهم، ناهيك بندرة الكتب ذلك الوقت، والمجهود الذي يبذل في سبيل الحصول على الكتاب، لعدم وجود تجارة للكتب، ولعدم توفر مطابع تمد القارئ بما يحتاجه، فالكتاب نادر، والحصول عليه يحتاج إلى جهد ومال.

ولذا فإن الذي وصل إلينا علمه، أن جميع محتويات تلك المكتبات من المخطوطات التي بذل في خطها وجمعها الشيء الكثير، ولاقى أصحابها الصعاب في سبيل توفير ذلك من ورق وأحبار وأقلام، وخلاف ذلك..

وقد يكون الحبر والأقلام من أقلها تكلفة، إذ كان الناس يعتمدون على ما هياه الله لهم في البيئة ومواردها: فالأقلام من القصب الذي يجدون مخلفاته في مزارعهم، والحبر يصنّعونه محلياً من بعض النباتات، وما يعلق بالأواني النحاسية بعد استعمالها في الطبخ، مع الصمغ الذي يستخرج من أشجار الطلح المتوفرة بكثرة في الصحراء.

والمحابر تصنع من الخشب الذي ينمو محلياً، وخاصة شجر الأثل.. فيكمل هذا وذاك جهد شخصي بالعمل والمواصلة، فهي حرفة يتطلبها العلم، وتحذو إليها الهمة والرغبة، وطلب المعرفة.. إنها مهنة الورّاقين، وبعضهم يستأجرون لذلك، أو يتعاونون.

وما قام به طلبة العلم في نجد، ما هو إلا امتداد لأعمال هذه الحرفة، لدى علماء المسلمين في عصور ازدهار الحضارة الإسلامية، في الشام والعراق، والأندلس وغيرها..

فالبينة واحدة، والمطلب واحد، أما الهدف فهو الوصول إلى ركيزة علمية، ورصد ما يتلاءم مع متطلبات المجتمع من علوم ومعارف.

والمكتبات التي سنذكر بعضاً منها، لم تصل إلينا في هذا العصر على هيئتها، ويمكن إعطاء فكرة عن محتوياتها، وحجمها، ومصادر اقتنائها.

لكن الذي ذكر عن كل مكتبة، ما هو إلا تنويه عنها، جاء في ترجمة حياة بعض رجال العلم من هذه الأسر، ويبرز ذلك جلياً لدى الشيخ عبدالله بن بسام في كتابه علماء نجد خلال ستة قرون، والشيخ محمد بن عثمان القاضي في كتابه: روضة الناظرين عن علماء نجد، وابن بشر في تاريخه عنوان المجد، والشيخ إبراهيم بن عيسى في ذيله على عنوان المجد، والشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف في كتابه مشاهير علماء نجد وغيرهم.

ومن هذه المكتبات الشهيرة:

- ١ - مكتبة آل إسماعيل في أشيقر.
- ٢ - مكتبة آل عوسجي في ثادق.
- ٣ - مكتبة آل ذهلان في الرياض.
- ٤ - مكتبة آل عضيبي في عنيزة.
- ٥ - مكتبة آل عتيقي في المجمعة.
- ٦ - مكتبة آل عبدالجبار - من آل شبانه - بالمجمعة أيضاً.

وكانت هذه المكتبات، ورجال العلم من هذه الأسر، كل في بلده تعتبر مقصداً لطلاب العلم، يأتون إليها من جميع أنحاء نجد، رغبة في التحصيل العلمي، وحرصاً في الوصول إلى المعرفة.

ولاشك أن هناك مكتبات تبددت ولم يشر إليها ترتبط بالعلماء كمكتبة المؤرخ والقاضي ابن ربيعة والشيخ أحمد بن منقور صاحب كتاب الفواكه العديدة في المسائل المفيدة المتوفى سنة ١١٢٥هـ وأجداد الشيخ محمد بن عبدالوهاب وغيرهم من الأسر العريقة في المنطقة.

ومن باب الاستزادة في هذا المجال، يحسن أن نمر عرضاً، ببعض المخطوطات التي تولى خطها علماء من نجد، سواء خطوها لأنفسهم، أو أعطوها لغيرهم بعد خطهم لها، أو حصوهم عليها، وهي نموذج للجهـد الذي يبذل في السبيل العلمي، والرغبة في وسائله.

فلئن كانت حرفة الوراقين قد انتشرت في العصور الاسلامية المختلفة في أمهات المدن للتكسب أو للمساعدة في نشر العلم، فإن ما وصل إلينا في نجد مع قلته، هو أن مجموعة من العلماء وطلبة العلم يتولون نسخ كثير من الكتب لأنفسهم، أو لمشايخهم أو لزملائهم . .

ولم نتأكد ما إذا كانت هذه الحرفة قد أخذت طابع التكسب في نجد، خلال الفترة السابقة لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب . . لأن السائد في هذا المجتمع آنذاك وإلى عهد قريب: التعاون في بناء المساكن، وفي الزراعة، وفي متطلبات المعيشة والحرف رجالاً ونساء بدون مقابل من باب المثل الدارج عندهم: «عاوئي وأعاونك» . . ولا ريب أن الناحية العلمية قد تدخل في هذا الباب أكثر لأن فيها احتساباً لله وطلب أجر.

وما نستطيع إثباته هنا حسبنا رصد على بعض المخطوطات التي تحدث عنها العلماء الأفاضل، في مؤلفاتهم السابق ذكرها عند حديثهم في ترجمة بعض العلماء، أن هناك مخطوطات قد كتب عليها اسم من خطها وتاريخ ذلك، واسم من دخلت في حوزته، وهذا ما يسمى بالتملك .

ونضع هنا بعضاً مما اتصل بمعرفتنا عن بعض الكتب، كنماذج لما نتحدث عنه، وليس بالحصص، مع أن بعض الباحثين، والمهتمين بالمخطوطات. والحريصين على التنقيب عنها، سوف تتراءى لهم أعداد أخرى تفوق، ما مرّ بالكاتبين عن سير وحيات بعض العلماء. إذ ما نذكره هنا عن الكتب والمكتبات ما هو إلا مؤشر على دلالة، وراءها أشياء كثيرة تزداد مع الأيام والتجميع . . وتبرز النوعية العلمية التي يهتم بها طلبة العلم ذلك الوقت.

فمن ذلك الكتب التالية:

- ١ - كتاب التوابين لابن الجوزي، خط في عام ٧٩٩هـ، وقد خطه عبدالله بن شفيع من أهل أشيقر، حسبنا ذكر ابن حميد في السحب الوابلة<sup>(١)</sup>.
- ٢ - الرد على الجهمية للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، كتبه ابن عنيق من أهل أشيقر عام ٩٥٦هـ<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر مخطوطة السحب الوابلة عند تعرضه لاسم عبدالله بن شفيع .

(٢) ذكره منصور الرشيد في مخطوطته علماء نجد قبل الدعوة .



وقد جاء في بعض الرسائل التاريخية، إشارة إلى أن هناك مقتطفات تاريخية، كتبها شخص يدعى ابن عنيق.

ولعل تاريخ ابن عنيق هذا فيما لو وجد يعين في إنارة الطريق لأشياء جديدة تهم الباحث فيما تتضمنه من معلومات، وإشارات لهذه الأسرة العلمية.

٣ - شرح ابن عقيل في النحو، على ألفية ابن مالك : خطّة بدر بن محمد بن بدر من أهل أشيقر عام ٩٩٣هـ<sup>(١)</sup>.

٤ - كتاب : التبيان في آداب حملة القرآن للنووي، كتبه محمد بن أحمد بن اسماعيل من أهل أشيقر عام ١٠٠٦هـ<sup>(٢)</sup>.

٥ - كتاب : المطلع على أبواب المقنع لابن مفلح خطة : عبدالرحمن بن أحمد بن إسماعيل من أهل أشيقر عام ١٠٠٦هـ<sup>(٣)</sup>.

٦ - كتاب : شرح الشنشوري في الفرائض كتبه : عبدالله بن محمد بن بسام من أهل أشيقر عام ١٠٤٤هـ<sup>(٤)</sup>.

٧ - شرح التهذيب في المنطق، كتبه الشيخ عبدالله بن أحمد بن عضيب، قاضي عنيزة، كما كتب كتباً أخرى كثيرة، حسبما ذكر ابن حميد. . لكنه لم يجد تاريخ خطة لهذا الكتاب أو غيره إلا أن المذكور قد توفي عام ١١٦١هـ في بداية الدعوة<sup>(٥)</sup>.

٨ - كتاب غاية المنتهى خطه : علي بن محمد بن علي بن بسام من أشيقر عام ١٠٦٤هـ<sup>(٦)</sup>، وبعد أن طبع هذا الكتاب خرج وعليه راموز في الصفحة الأخيرة بخط الشيخ : عثمان بن أحمد النجدي، وقد خط نصفها الأخير عام ١٠٨٥هـ<sup>(٧)</sup>.

٩ - كتاب : مناقب الإمام أحمد بن حنبل كتبه محمد عبدالله بن سلطان

(١) انظر علماء نجد في ستة قرون ١ : ٢١٠.

(٢) نفس المصدر ٣ : ٧٨٨.

(٣) نفس المصدر ٢ : ٣٨٤.

(٤) نفس المصدر ٢ : ٨٦١٦.

(٥) انظر مخطوط السحب الوابلة ورقة ١٣١ الوجه الثاني.

(٦) انظر علماء نجد في ستة قرون ٣ : ٧٢٥.

(٧) راجع هذا الكتاب ٢ ط منشورات المؤسسة السعيدية بالرياض ص ق، ش.

قاضي المجمع، ولم يعرف تاريخ خطه، لكن المذكور توفي عام ١٠٩٩هـ<sup>(١)</sup>.  
١٠ - كتاب : الإقناع في الفقه : بخط إبراهيم بن محمد بن أحمد بن إسماعيل  
من أشيقر عام ١١٠٨هـ<sup>(٢)</sup>.

١١ - كتاب : شرح المنتهى : الجزء الثاني خط بقلم : إبراهيم بن أحمد بن  
يوسف النجدي عام ١١٨٧هـ<sup>(٣)</sup> وقد وضعته هنا مع أن هذا التاريخ أثناء  
الدعوة، لأن المذكور هجر نجداً واستوطن دمشق بديار الشام، حيث تصدر  
للتدريس بالجامع الأموي في بداية الدعوة أو قبلها بقليل، ومات في مطلع  
الدعوة هناك.

---

(١) ذكره منصور الرشيد في مخطوطة علماء نجد قبل الدعوة.

(٢) انظر علماء نجد في ستة قرون ١ : ١٣٨.

(٣) نفس المصدر السابق ١ : ١٠١.

## الأوقاف العلمية

إن الأوقاف العلمية تختلف عن الأوقاف العقارية، أو أوقاف العينية :  
فالثانية تنبئ عن جذور عقدية، وارتباط وجداني، لكن ليس من شروطها أن  
يكون الموقف عالماً. ولن نتعرض لها هنا لأنها باب واسع، يجزنا إلى النواحي  
الاجتماعية والاقتصادية في البلاد، ذلك أن الأوقاف العينية ذات دلالة على  
النماذج الحضارية، والمستوى المالي والاجتماعي للبيئة التي صدر الإيقاف فيها.  
وإن التعمق والتوسع في دراسة نوعية الأوقاف، لما يعطي الدارس عمقاً في  
فهم المجتمع، والإنصهار في بيئته، ومعرفة ما يدور فيه . .  
وهذا أيضاً مما يسلط الضوء على الحالة المالية لهذا المجتمع، والمستوى المعيشي  
للأمة والمؤثرات النفسية في أبنائه .

ومع صعوبة الوقوف على تلك الوصايا، التي تنبئ عن ذلك، لأنها لاتزال  
مخطوطة، ومحفوظة لدى الأفراد، لعلاقتها بأسرهم وخصوصياتهم، وما ضاع  
منها أكثر مما يحتفظ به الناس .

وإن ما وصل إلينا علمه على قلته، يعطي مادة خصبة لإبراز صفحات عن  
ذلك المجتمع، وانفعالات النفوس فيه، وما يحتاجونه في حياتهم اليومية، مع  
إمامه بحالتهم الاقتصادية وتفكيراتهم . ولعله يتاح لنا فرصة التحدث عن ذلك  
في مناسبة أخرى، كمعلم من معالم الحضارة في التفكير، ومتطلبات المجتمع . .  
ثم التعرض لذلك بالتحليل والمقارنة، لنستجلي صورة ذلك المجتمع  
وانعكاسات ما يعتمل في نفوس أفراد، ومستواهم في العطاء والتفكير، وما  
يشغل بال كل منهم .

أما النوع الأول من الأوقاف العلمية : وهو ما نحن بصدد، فإن هذا ينبعث  
من معرفة وإدراك وعلم ودراية، علاوة على القاعدة الدينية العقدية الراسخة .  
وما أوقفه عالمان من أوائل من وصل إلينا خبرهم، على مدرسة أبي عمر في  
الصالحية بدمشق، نستشف منه :

١ - حب العلماء للمشاركة في نقل العلم للآخرين ، والرغبة في إيصاله إلى أكبر عدد ممكن من المتلهفين إليه ، وتيسيره أمام طالبه .

٢ - محبة العلماء في نجد للعلم طلباً : بالذهاب إلى الشام والعراق ومصر لتحصيله ، مع تجشم المشاق في سبيل ذلك .

ومثابرة : بالبقاء أطول مدة هناك لإدراكه ، وبذلاً : بتجميع وخط ما تيسر لهم من مصادر علمية .

وسخاء وارتباطاً : بإيقاف ما يزيد عن حاجتهم للجهات التي هي مظنة الإفادة لطلاب العلم ، عند الرغبة في العودة للبلاد لصعوبة الحمل من جهة ، ولبعد المسافة ومخاطر الطريق من جهة أخرى .

٣ - حرص هؤلاء العلماء على العودة لبلادهم بعد انتهاء فترة التحصيل ، ليساهموا في البذل من أجل تنوير الأذهان ، ورفع مستوى بني جلدتهم .

ولولا أن الله قد هيا للبلاد ذلك الوقت كثيراً من أسباب الحضارة التي نعمت بها ، وما توفر في أغلب أرجائها من الهدوء والاستقرار ، مع توفر أسباب العيش ، لما كان لهؤلاء أن يعودوا من بلاد الشام وغيرها . . الغنية بخيراتها ، والتي كانت منتجعاً لطلاب العلم آنذاك في الفقه ، وخاصة الفقه الحنبلي ، الذي انتقل للبلاد فيما يبدو في القرن العاشر الهجري حيث أن منصور البهوتي المتوفى في مصر عام ١٠٥١هـ ، لم ينتقل كتابه كشف القناع على متن الإقناع إلا بعد ذلك التاريخ . . وما ذلك إلا أن أغلب من ذهب من نجد للشام كانوا يأخذون الفقه الحنبلي عن الشيخ موسى الحجاوي الصالحي نسبة للمكتبة الصالحية ، الذي كان فقيهاً للحنابلة في ديار الشام ذلك الوقت ، وقد توفي بدمشق سنة ٩٦٠هـ وقد ذكره ابن بشر في تاريخ عنوان المجد وقال إنه توفي سنة ٩٦٨هـ . . إذ يعتبره كل علماء نجد شيخاً لهم<sup>(١)</sup> . . كما ذكر في سابقه ١٠٣٣هـ ، وفاة الشيخ العلامة ، مرعي بن يوسف الحنبلي المقدسي الأزهري وقد ذكر فضله ومؤلفاته وأن له تاريخاً<sup>(٢)</sup> .

واذكر هنا ما وصل إلينا عن تلك الأوقاف العلمية :

(١) انظر عنوان المجد السوابق .

(٢) انظر سابقه ١٠٣٣هـ .

١ - أوقف الشيخ والعالم المشهور في نجد، وهو من أقدم من وصل إلينا خبره من أصحاب المدارس العلمية في العيينة الشيخ أحمد بن يحيى بن عطوة المتوفى عام ٩٤٨هـ بالجبيلة قرب الرياض بعضاً من كتبه على مكتبة أبي عمر في الصالحية بدمشق من ديار الشام.

٢ - كما أوقف معاصره الشيخ : أحمد بن إبراهيم بن محمد بن حميدان وهو من أشيقر ثلاثة كتب هي : الفروع ، والزركشي ، والإنصاف .

وهذه تقع في حدود ٤٠ مجلداً على مدرسة أبي عمر بالصالحية بدمشق أيضاً . . وهذان العالمان كانا يدرسان هناك الفقه الحنبلي ، وقد نقل ما تبقى من محتويات هذه المكتبة إلى المكتبة الظاهرية بدمشق .

وإن من يتصفح ما في خزائن المخطوطات هناك ، وفي المكتبة السعودية بالرياض ، وفي مكتبة الحرم المكي ، ومكتبة المسجد المدني ، ومكتبة جامعة الملك سعود بالرياض ، ودار الكتب المصرية وغيرها . . ثم يطبق أسماء من أوقفها على أسماء من عرف من أهل نجد من العلماء في ذلك الزمان ، فإنه سوف تتضح له أشياء كثيرة من ذلك ، ولن نعدم أن نجد في مكتبات تركيا ، والمكتبات التي يملكها أفراد ، ما يشير إلى ذلك ، خاصة وأن البعض يجعل كتبه وقفاً عاماً على طلبة العلم . . وهذا أكثر حيث يكون على مستوى كتاب واحد أو أكثر . . أو في الرسائل الصغيرة<sup>(١)</sup>.

ولعل ما يقرب وجهة النظر أن الشيخ عبدالله بن إبراهيم بن سيف الذي هاجر والده من الجمعة للمدينة كان يملك مكتبة كبيرة كما روي عن تلميذه الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله قال : كنت يوماً عنده فقال لي أريد أن أريك سلاحاً أعددتَه للمجموعة قلت نعم فأدخلني منزلاً عنده فيه كتب كثيرة ، وقال : هذا الذي أعددتَه لها . . ولكنه لم يذهب إلى المجموعة بل بقي في المدينة حتى توفي فيها سنة ١١٤٠هـ<sup>(٢)</sup>.

(١) راجع ترجمة الحجاوي في الأعلام للزركلي ٨ : ٢٦٧ .

(٢) انظر علماء نجد في ستة قرون لابن بسام ٢ : ٥٠٣ .

## الإجازة العلمية

الإجازة مأخوذة من اللفظ اللغوي : أجاز يميز إجازة، جاءت في معاجم اللغة في مادة: جوز بأنها أحد أقسام المأخذ والتحمل، وأرفع أنواعها: إجازة معين لمعين، كأن يقول أجزت لفلان الفلاني، ويصفه بما يميزه، بالكتاب الفلاني، أو ما اشتملت عليه فهرستي ونحو ذلك فهو أرفع أنواع الإجازة المجردة عن المناولة، ولم يختلف في جوازها أحد، واستشهد الزبيدي بقول الفاروقي :

أجاز لهم عمر الشافعي جميع الذي سأل المتجيز  
ولم يشترط غير ما في اسمه عليهم وذلك شرط وجيز<sup>(١)</sup>

وهذا النوع يحدد به المستجيز مكانته من شيخه في الأخذ العلمي، ومستواه فيه، وهذا التحديد يأتي على أنواع :

- إجازة نقل حديث بسنده ورجاله، بعد معرفة درجاتهم في الجرح والتعديل .  
- إجازة كتاب بعينه، حيث قرأه على شيخه، واستظهر ما فيه، فوجده في مستوى الجلوس لتبليغه وروايته .

- إجازة فن معين من فنون المعرفة اشتهر به الشيخ، فيجيز لتلميذه الذي لازمه الحديث في هذا التخصص، لما لمس فيه من الكفاءة والمقدرة .  
وغير هذا من أنواع التخصصات التي يلمسها من يقرأ نوعية الإجازات التي سار عليها أجدادنا العرب في منهجهم التعليمي . . وهو ما سار عليه علماء وسط الجزيرة في أخذهم الإجازة عن مشايخهم، وإعطائها لتلاميذهم .

فالسابقون من العرب المسلمين في المجال العلمي التخصصي، إبان ازدهار حضارة العرب، واتساع علوم المسلمين، كانوا سباقين إلى ذلك المنهج، ولم يعرفوا أثناء مسيرتهم العلمية الطويلة، هذا المنهج الذي استحدث من جديد عن الرسائل العلمية «ماجستير» و «دكتوراه» أو «دبلومات»، والتي يتبين من أسماؤها أنها بلغات أجنبية بعيدة عن اللغة العربية ومقصدها الاستدلالي .

(١) راجع تاج العروس في مادة جوز للزبيد ٤ : ٢١، ومن ص ١٩ - ٢٢ .



إلا أن الجذور التي أخذت منها هذه المنهجية، كانت عربية المحتذى، إسلامية الجذور والمنبع.

ولطالما وجد القارئ في أمهات الكتب العربية والإسلامية، وفي تراجم سير الأشخاص، بل وفي كتب الحديث ثم الفقه بالذات، ما يفيد أن الشيخ فلان، قد أجاز لتلميذه رواية هذا الأمر عنه.

ويدخل في هذا إجازة بعض الشيوخ لنخبة ممتازة من تلاميذهم كتباً بعينها، أو رواية مطلقة عنهم، وقد تفيد بطريق السند أو النقل.

وهذه الإجازات تنبئ عن المكانة العلمية للتلميذ التي ارتفعت، والمنزلة العلمية أيضاً للشيخ الذي لا بد أن تكون شهرته، قد طبقت الآفاق، وأصبح عالماً يشار إليه بالبنان وتضرب إليه آباط الإبل.

وهذا بمثابة الرسائل العلمية في العصر الحاضر، التي لا تمنحها إلا الجامعات العريقة، والتمكن في الرسوخ والقدم.

ونجد ما هي إلا امتداد لشجرة العرب والمسلمين العلمية، الوارفة الظلال، يسير أبنائها في النواحي العلمية، كما يسير أسلافهم في الحرمين الشريفين، والشام والعراق ومصر ثم الأندلس في خط علمي ثابت، يأخذون العلم من مصادره، ولا يسمح لهم شيوخهم بالجلوس لطالبي العلم إلا بعد اختبار لمستواهم، وفحص أكيد لقدراتهم، وتمحيص لإدراكهم وحسن لفهمهم، لأن العلم أمانة، والإجازة تعني منح الثقة، والسماح بالتصدي للإفتاء، أو المداورة.

والإجازات كلما كثرت في مكان - والتي نلمسها في نجد بصفة خاصة في العلوم الدينية - كلما دلّ الأمر على ارتفاع المستوى العلمي في البلدان التي ينتمي إليها المجازون والمجيزون.

والإجازات التي سيمر بنا هنا طرف منها، لم تكن صادرة من علماء خارج الجزيرة بصفة عامة أو نجد بصفة خاصة..

بل إن أغلبها صدر عن علماء من وسط نجد، مما يعطي دلالة أخرى عن المستوى التعليمي الذي هو قمة الحضارة البشرية، وعن ارتفاع مكانته في هذه الفترة التي نتحدث عنها، وأنهم لا يقلّون في مكانتهم العلمية عن علماء المسلمين

في المناطق المجاورة، والتي احتفظت بطابع معين في مساجدها الكبيرة للتدريس والإجازة. . ومن ثم إخراج العلماء لمزاولة الحياة العلمية في بلادهم أو غيرها ليدفعوهم لتأدية الدور المطلوب منهم.

ولا يحسن أن يغرب عن البال أن النواحي الأمنية، والاستقرار النسبي في نجد، ووفرة سبل المعيشة، كل هذه الأمور كلما توفرت أسبابها، اتجه الناس للعلم، وأخذوا بأسبابه بهمة ونشاط لرغبتهم فيه، وكلما تخلخل الأمن أو اضطرب ميزانه، أو قامت الفتن والشحناء، أو مع كثرة القحط والجفاف، كلما اتسع نطاق شيء من ذلك كلما انكمش العلماء، أو هاجروا لأماكن أخرى، لأن العلم لا ينمو مع القلق والخوف، ولا يتجه الناس إليه مع الجوع والقحط، لأن الإنسان يصبح مشغولاً بنفسه وبضرورات حياته، فكما يقال في المثل: ملء البطن قبل ملء الذهن.

ولعل ما نورده هنا من إجازات علمية، جاءت ضمن إشارات في تراجم بعض العلماء، أو في تعليقات على كتب بعينها، لما يثبت بها المجاز، أو تلاميذه، المكانة العلمية التي وصل إليها، والتي تأتي أحياناً بقلم المجيز نفسه.

وإذا كنا نحصي في بعض الأحيان عدد المتحصلين على أكبر لقب علمي تمنحه الجامعات اليوم، بعد أن بدأ تقليد العرب للغرب في ذلك المنهج، فإن هذه الإجازات التي ستمر بنا ما هي إلا نماذج من ذلك المستوى، إن لم تكن ذات دلالة أعمق، ولكل عصر سمته التي تميزه. وهذه الإجازات هي:

١ - إجازة موسى بن أحمد الحجاوي والمتوفى بدمشق عام ٩٦٠هـ، وكان مفتي الحنابلة بالشام، لمحمد بن إبراهيم بن حميدان من أشيقر المتوفى عام ٩٨٠هـ تقريباً<sup>(١)</sup>.

وقد اعتبر ابن بشر وفاة الشيخ موسى الحجاوي عام ٩٦٨هـ<sup>(٢)</sup>، وبهذا يصبح ابن حميدان هذا من الطبقة الثانية من علماء نجد التي درست في الشام بعد طبقة أحمد بن يحيى بن عطوة مفتي العيينة المتوفى عام ٩٤٨هـ.

(١) انظر الأعلام للزركلي ٨ : ٢٦٧. وانظر نص الإجازة في فتاوى المنقور الفواكه العديدة ٢

(٢) انظر عنوان المجد لابن بشر ٢ : ١٩٤.

كما درس في مصر وأجازاه الشيخ نجم الدين الفقيه المحدث الشافعي محمد بن أحمد الغيطي ألفية العراقي في الحديث.

٢ - إجازة مرعي بن يوسف الكرمي ، لأبي نمي بن عبدالله بن راجح ، وقد وصلت هذه الإجازة إلى أشيقر في نجد من القاهرة في عام ١٠٢٨هـ ، بصحبة كتاب غاية المنتهى لمرعي بن يوسف المتوفى عام ١٠٣٣هـ بمصر<sup>(١)</sup> .

٣ - إجازة نجم الدين المحدث الفقيه الشافعي : محمد بن أحمد الغيطي ، لمحمد بن إبراهيم بن حميدان أيضاً في ١٢ ربيع الأول عام ٩٦٨هـ<sup>(٢)</sup> ، وسماه الشيخ عبدالله بن بسام بن أبي حميدان .

٤ - إجازة الشيخ محمد بن عبد الباقي أبو المواهب ، لعبدالله بن إبراهيم بن سيف المتوفى بالمدينة المنورة ، عام ١١٤٠هـ بعد أن انتقل إليها والده بالمجمعة ، وبدوره أجاز الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله رائد الدعوة الإصلاحية في نجد عندما أخذ عنه ، كما قال بذلك حسين بن غنام في تاريخه عند تعرضه لسيرة الشيخ محمد . . وهذه الإجازة تتكون من حديثين : الحديث الأول : المسلسل بأولوية والثاني : الحديث المسلسل بالحنابلة<sup>(٣)</sup> .

قال الشيخ عبدالستار الدهلوي : الشيخ عبدالله بن إبراهيم الفرضي النجدي ثم المدني يروي مصنفات القاضي أبي يعلى عن الشيخ أبي المواهب ، ويروي عنه مسلسل الحنابلة<sup>(٤)</sup> .

٥ - إجازة الشيخ أحمد بن محمد القصير الأشيقر موطناً الحنبلي مذهباً المتوفى عام ١١١٤هـ لفوزان بن نصرالله المتوفى عام ١١٤٩هـ ، والإجازة في كتاب المنتهى عام ١٠٩٩هـ<sup>(٥)</sup> ، وكان الشيخ فوزان ممن سافر إلى دمشق في طلب العلم ، وقد ذكر الإجازة ابن حميد في مخطوطته السحب الوابلة عند ترجمته لحياته<sup>(٦)</sup> .

(١) انظر تفاصيل الإجازات في علماء نجد في ستة قرون ٣ : ٧٦٩ .

(٢) راجع ترجمة الشيخ مرعي في مقدمة كتاب غاية المنتهى الطبعة الثانية الرياض وانظر سابقة ابن بشر لعام ١٠٣٣هـ فقد توسع في ترجمة الشيخ مرعي .

(٣) راجع تاريخ بن غنام عند تعرضه لطلب الشيخ العلم وشيوخه .

(٤) راجع علماء نجد في ستة قرون لابن بسام ٢ : ٥٠٢ .

(٥) راجع ترجمته عند محمد العثمان القاضي في كتابه روضة الناظرين ٢ : ٥٩ .

(٦) راجع مخطوط السحب الوابلة وعلماء نجد لابن بسام ٣ : ١٢ .

٦ - إجازة الشيخ أحمد بن محمد القصير، لأحمد بن عثمان بن بسام الحصري المتوفى عام ١١٣٩ هـ، والإجازة في كتاب الإقناع<sup>(١)</sup>.

وفي وفاته ذكر ابن بشر أنه أصاب أشيقر وباء، مات فيه خلق كثير، وفيهم علماء منهم الشيخ أحمد وعمه محمد بن محمد وعمه.

٧ - إجازة صالح بن عبدالله الصائغ من عنيزة المتوفى سنة ١١٨٤ هـ لسليمان بن إبراهيم الفداغي فيما يرويه عنه. ونص الإجازة أوردها الشيخ عبدالله بن بسام في كتابه: علماء نجد في ستة قرون عندما ترجم للشيخ صالح<sup>(٢)</sup>.

٨ - إجازة حميدان بن تركي المتوفى عا ١٢٠٣ هـ للشيخ عبدالله بن أحمد بن إسماعيل، من أشيقر المتوفى عام ١١٩٦ هـ، والإجازة في عام ١١٧٠ هـ فيما يرويه عن مشايخه، وقد ذكر ابن حميد في ترجمته لحميدان هذا: إنه غادر عنيزة إلى المدينة، ونقل معه مكتبته الكبيرة، وأقام فيها حتى توفي، وعنه نقل ابن بسام أيضاً هذا القول. ويرى محمد بن عثمان القاضي أن حميدان هذا، أخذ الإجازة عن علماء المدينة في علم الحديث<sup>(٣)</sup>.

وفي ترجمة عبدالله بن أحمد بن إسماعيل قال الشيخ ابن بسام، كما قرأ على زميله الأكبر حميدان بن تركي، وأستفاد منه وأجاز به إجازة مطولة، وأجتزأ منها أسطراً<sup>(٤)</sup>.

وهذه الإجازة وإن كانت في بداية أيام دعوة الشيخ محمد، إلا أنها تعتبر امتداداً للعصر العلمي الذي سبقه.

٩ - إجازة الشيخ إبراهيم بن عبدالله بن سيف الشمري، من أحد مشايخه، ولم يوضح الشيخ عبدالله بن بسام تاريخ هذه الإجازة التي أورد نتفاً منها في ترجمته لحياته<sup>(٥)</sup>.

والشيخ إبراهيم هذا هو المشهور بالفرضي، وألف في ذلك كتاب: العذب

(١) نص الإجازة في ترجمته عند ابن بسام في علماء نجد ١ : ٣.

(٢) راجع كتاب الفاحتي ٢ : ٣٦٤ من هذا الكتاب، وعلماء نجد في ستة قرون لعبدالله بن بسام ١ : ١٦٩.

(٣) انظر علماء نجد ٢ : ٥٠٧ مخطوطة والسحب الوابلة في ترجمة حميدان.

(٤) انظر علماء نجد ١ : ١٣٥، مخطوطة والسحب الوابلة لأبن حميد في ترجمة ابراهيم بن سيف.

(٥) راجع هذه المخطوطة ورقة ٦ الوجه الأول. وعلماء نجد لابن بسام ١ : ١٣٥.

الفائض الذي فرغ منه في ٢٢ شعبان سنة ١١٨٥هـ، وقد توفي عام ١١٨٩هـ كما قال ابن حميد في مخطوطته: السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، ودفن بالبقيع في المدينة<sup>(١)</sup>.

١٠ - وإن ما ذكره الشيخ أحمد بن محمد المنقور المتوفى عام ١١٢٥هـ في كتابه: الفواكه العديدة في المسائل المفيدة، والمشهور عند علماء نجد باسم: مجموع المنقور، في نقله عن ٤٦ عالماً، وأكثر تلك الروايات عن شيخه عبدالله بن ذهلان المتوفى عام ١٠٩٩هـ بالرياض، وعن الشيخ أحمد ابن يحيى بن عطوة المتوفى عام ٩٤٨هـ، وهو من أكبر وأبرز علماء العيينة..

كل هذا ينبىء عن الأسلوب العلمي في الاهتمام بنقل العلم وروايته، والذي لا يزال أثره لدى كثير من كبار علماء هذه البلاد باقياً، ممن درسوا في حلقات المشايخ، واهتموا بالأخذ عن العلماء المشهورين، وآخرها حلقة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله بمسجده بالرياض، المتوفى عام ١٣٨٩هـ. ثم حلقة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز أمد الله في عمره. حيث تقلصت الحلقات بعد فتح المعاهد والكليات.

وإن من يتصفح كتب التراجم، فسوف يجد فيها كثيراً من هذه النماذج والإجازات، التي هي بمثابة الشهادات الدراسية العالية، التي تمنحها الجامعات في زماننا هذا..

- أما عن الرحلات في طلب العلم، فقد تعرض لهذا الجانب الأستاذ منصور الرشيد، ضمن مقال مطوّل في مجلة الدارة، عن القضاة قبل العهد السعودي الأول في نجد، وجاء ذكر أخبار رحلات بعضهم في طلب العلم عند ابن بسلام في كتابه علماء نجد في ستة قرون، ومخطوطتي السحب الوابلة لابن حميد، ورفع النقاب عن تراجم الاصحاح لابراهيم بن ضويان وغيرهما.

وسوف نذكر من أولئك العلماء الذين أخذوا علومهم من الشام ومصر، عشرة، كبرهان على وجود بعثات دراسية، ورحلات علمية، ترغّب في النهل علمياً من الموارد العذبة، للإفادة والاستفادة.. وإلا فالعدد أكثر..

(١) روضة الناظرين ١ : ١٠٢.

١ - الشيخ أبو إسحاق برهان الدين : إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم بن سليمان بن أبي يوسف النجدي ، الذي كان يدرس في الجامع الأموي ، وتوفي في دمشق مقتولاً عام ١٢٠٥هـ .

٢ - أحمد بن يحيى بن عطوة ، طلب العلم في الشام ثم عاد إلى نجد ، وجلس في مسجد العيينة وارتاده الطلاب وهو من تلاميذ الشيخ ، أحمد العسكري ، والشيخ جمال الدين بن عبد الهادي ، وتوفي بالعيينة عام ٩٤٨هـ .

٣ - أحمد بن محمد بن مشرف ، الذي طلب العلم في الشام ، وتوفي بنجد عام ١٠١٢هـ ، وهو من تلاميذ الشيخ موسى الحجاوي .

٤ - زامل بن سلطان ، قاضي الرياض الذي رحل للشام ، فأخذ عن الشيخ موسى الحجاوي ، ثم رحل إلى مصر ، حيث درس على الشيخ محمد بن أحمد الفتوحي المتوفى عام ٩٧٢هـ .

٥ - عبد الرحمن بن محمد بن ذهلان الذي رحل للشام ، فأخذ عن الشيخ محمد بن بدر الدين البلباني المتوفى عام ١٠٨٣هـ ، وهو أخو الشيخ عبدالله بن ذهلان قاضي الرياض المتوفى عام ١٠٩٩هـ .

٦ - الشيخ عبدالله بن عبد الوهاب ، قاضي العيينة المتوفى في عام ١٠٥٦هـ ، والذي رحل إلى مصر ، ودرس على الشيخ منصور البهوتي المتوفى عام ١٠٥٢هـ ، حيث ذكره ابن بشر في سوابقه .

٧ - الشيخ عبد الوهاب بن عبدالله بن عبد الوهاب المتوفى عام ١١٢٥هـ رحل بصحبة والده إلى مصر ، حيث درسا على الشيخ منصور البهوتي .

٨ - الشيخ عثمان بن أحمد بن عثمان بن قائد المولود بالعيينة ، درس على الشيخ عبدالله بن ذهلان بالرياض ، ثم رحل إلى دمشق ، ودرس على : عبد الحلي بن محمد بن عماد المتوفى عام ١٠٩٥هـ ودرس أيضاً على محمد أبو المواهب ، فحصل بينهما خلاف ، أُلجأ إلى السفر لمصر حيث درس على الشيخ محمد الخلوئي ، وغيره ثم جلس للتعليم هناك فصار له تلاميذ بالقاهرة وتوفي بها عام ١٠٩٨هـ .



٩ - فوزان بن نصر الله بن محمد بن مشعاب، من قبيلة المشاعيب من سبيع، نشأ في حوطة سدير ودرس في أشيقر على الشيخ أحمد القصير، ثم سمت نفسه فرحل للشام، ودرس على الشيخ: عبدالقادر البعلي، وعاد إلى نجد حيث جلس للتدريس، وتوفي في حوطة سدير عام ١١٤٩هـ.

١٠ - محمد بن عزّاز الذي رحل إلى الشام حيث درس على الشيخ كمال الدين الغزي، وقد ذكره الشيخ أحمد المنقور في مجموعة<sup>(١)</sup>.  
كل هذه مؤشرات عن الحركة العلمية، وما وصلت إليه، تنبئ عن مكانة علمية في نجد ذلك الوقت، ورغبة من رجالها في التزود به، والوصول إلى مراتب علمية عالية، وفي هذا مصداق للأثر: «منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب مال»، مع أن الأوقاف العلمية قليلة، والحياة قاسية.

---

(١) انظر مجلة الدارة العدد ٢ السنة ٤ رجب عام ١٣٩٨هـ ص ١٦ - ٣٣.

## المصادر

لئن كانت الفترة التي نتناولها طويلة نسبياً، فما ذلك إلا لنقص المعلومات التي رصدت، وقلة المصادر التي بين أيدينا.

ولقد أتى بمقتطفات عن كل موضوع، في معلومات متناثرة، كل من ألم بتاريخ المنطقة، أو جزء منها، أو مرّ بترجمة حياة أي واحد من رجالها، وخاصة العلماء والقضاة..

ومما لاشك فيه أن الفترة العلمية المزدهرة في الدرعية، إبان الدولة السعودية الأولى المستقرة لابد وأن تكون قد أثمرت بأشياء كثيرة، في التحدث عن الفترة التي سبقت هذا العهد الزاهي: علمياً وحضارياً، واستقراراً وأمناً ورخاء.

إن المعلومات التي رصدت عن نجد، يظهر فيها عاملان: الخصب والبناء، وهذا عامل من عوامل التمدد السكاني، واتساع المعيشة عندهم، لأن أهم عوامل الحضارة ومقوماتها الماء، الذي تقوم عليه سبل الحضارة..

أما العامل الثاني: فهو القحط والجفاف: وهذا يأتي معه أحياناً كثير من الآفات والأمراض للإنسان والحيوان والزروع.. ويترتب عليه هجرة الموجات البشرية طلباً لمواطن أحسن حالاً. ومن هذا فإن هذين العاملين المتناقضين، من أسباب عدم توفر معلومات كافية عما نحن نتحدث عنه، لأن الإنسان إذا شُغِلَ بنفسه، نسي ما يأتي في المرتبة الثانية بالأهمية، وإذا هاجر حمل الخفيف وترك غيره، وإذا تيسرت له أسباب الراحة في المكان الجديد، صرف النظر عن موطنه السابق وما له فيه.

وشيء آخر مهم في طمس المعالم الحضارية في المنطقة، وأهمها الناحية العلمية، وما يتبعها من رصد ومكتبات وإجازات علمية وثمار العقول، هو أن قادة الحملات العثمانية التي تتابعت على نجد بعد سقوط الدرعية عام ١٢٣٣هـ على يد إبراهيم باشا [١٢٠٤ - ١٢٦٤هـ]، قد حاولت طمس المعالم، وإحراق الكتب أو نهبها، وإعادة الناس إلى حالة الفقر والفوضى، وترك البلاد بالمغادرة

لأي مكان، وقد ذكر مقبل الذكر [١٢٩٩ - ١٣٦٠هـ] في مخطوطته التاريخية الشيء الكثير عن هذه الحملات وأعمالها، وخاصة حملة حسين بك<sup>(١)</sup>.

كما ذكر عبدالله آل بسام [١٢٦٨ - ١٣٤٦هـ] في مخطوطته التاريخية: تحفة المشتاق طرفاً من ذلك أيضاً<sup>(٢)</sup>.

وابن بشر [١٢١٠ - ١٢٩٠هـ] لم يغفل تلك الأفعال الشنيعة في نجد، فقد ذكر مثلاً أن الشيخ عبدالعزيز بن سليمان بن عبدالوهاب، قد حبس في حريملاء، ونهب بيته، وأخذ من عنده خزانة كتب عظيمة، فأخذ الزلي، قاضي حسين باشا منها أحمالاً، وأشعلوا النار في باقيها<sup>(٣)</sup>.

ولعل التنف القليلة، والكتب الصغيرة التي بقيت، وحماها الله من العبث والإفساد، هي التي سلطت الضوء على نماذج نعتبرها عنواناً للحضارة التي سادت، وأمتدت إلى قيام الدولة السعودية الأولى في الدرعية اعتباراً من عام ١١٥٨هـ.

وهذه التنف القليلة ما هي إلا معالم تنبىء عن شيء دفين، وعلامات عن كنوز ستسلط الضوء على صفحات مشرقة من تاريخ هذه البلاد، فهي بمثابة الوميض الذي ينبىء عن نور، وهي خطوات أولى من ضمن مسيرة جيدة، يجب أن تقطع بالثابرة والبحث، حيث خدمت مجلة اليمامة في أوائل سني صدورها، ثم مجلة العرب جوانب مهمة في هذا المضمار، وأجدادنا العرب قالوا في أمثالهم: «الأثر يدل على المسير».

وفي نظري أن الوصايا والوثائق، والأحكام الشرعية في نجد خلال الفترة التي سبقت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، وقيام الدولة السعودية الأولى في الدرعية، لو هيء لما بقي منها الخروج، واضحاً ومعروفاً، وأن يرى النور، فإنه سوف يتضح أمام القارئ معلومات جديدة تضاف للحصيلة الحضارية التي نتحدث عنها: علمياً واجتماعياً وثقافياً.

وذلك لما تحويه من أفكار، وما تنبىء عنه من معلومات تعكس النظرة

(١) راجع تاريخ مقبل الذكر المخطوط ج ٢ ورقة ٥٧.

(٢) تحفة المشتاق المخطوط ورقة ١١٩، ورقة ١٢٠.

(٣) انظر عنوان المجد في تاريخ نجد ١ : ٣٠٢.

الاجتماعية، والإحساس من الموصي بالحاجة إلى ما يؤثر في مجتمعه، ويشغل أذهان بني جلدته. كما أن محتويات تلك الوصايا ما هي إلا انعكاس اجتماعي ينبىء عن تفاعلات ذلك المجتمع، وما يؤرق أبناءه، لأن الوصية والحرص على منافعها، دليل على أن المجتمع يحرص أفراده على التعاطف والترابط، رغم ما يحصل عندهم من مشاحنات وفتن، كما نلمس هذا في الوقائع التاريخية المرصودة.

فكل قادر يتلمس ما يفيد أقرباءه بالذات، ثم المحتاجين من أبناء بلده لينفعهم بغلة ما يوصي به، وليرجوا الأجر من الله بالعطف على المحتاجين والفقراء في بلدته.

والوصايا والوثائق، والأحكام الشرعية، لم تكن مرصودة في سجلات بالمحاكم، حتى يسهل العودة إليها كما هي الحال في تركيا مثلاً، ثم في محاكم مكة والمدينة والطائف أيام الحكم العثماني.

لكنها تجعل بأيدي الوكلاء، والأوصياء، ومن يعينهم التطبيق، ولذا نراها قد ضاعت مع ما ضاع من تراث هذه البلاد، والصفحات المضيئة من تاريخ وانعكاسات البيئة التي عاشوا فيها.

ويمكن الحكم على ما وصل إلى القراء حتى اليوم، بأن هذه الوصايا تنطلق من نظرة الناس للأوقاف على اختلاف أنواعها، ورغم أننا لن نتحدث عنها هنا، ولن نحللها لنستجلي ما وراءها، إلا أننا سنشير إلى أبرزها وأشهرها، من باب التوضيح بوجود، نماذج سبقت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

أما الوثائق والتملكات والأحكام الشرعية، فهي تنبىء عن العقارات ومشكلاتها، من مزارع وبيوت وغيرها من العقارات. . كما تدخل في الممتلكات الأخرى. . وهذه قد نجد عنها إشارات في كتب الفقه التي ألقت ذلك الوقت، كمجموع الشيخ أحمد المنقور المتوفى عام ١١٢٥هـ، التي يستقى منها دراسة متكاملة، بالإضافة إلى ما في أيدي كثير من الأسر العريقة في كل بلد، حيث يتوارثونها كابراً عن كابر، من وثائق تمد الباحث بنبع جيد، ومعلومات لا يستهان بها، إذا أمكن الوقوف عليها.

ولئن كانت كتب التاريخ تحكي نماذج طريفة من الوصايا: كالذي أوقف عقاراً يصرف ريعه في شراء أوانٍ فخارية، تعطى للصبيان الذين تتكسر أوانيهم، خوفاً عليهم من الضرب.. فقد قيل لي عن وصية قديمة جداً في شقراء، بأن دكاناً قد أوقف ريعه على أعمال الحرب والجهاد في سبيل الله، وذلك بأن يشتري به دهناً لأكل الغزاة في سنوات الحرب.

وقد ضربت مثل هذا الأنموذج، لأن في كل بلد نماذج أكثر وأكثر، لكنها لم تصل ليد القارئ العادي بعد، ولعل أبناء كل بلد أو من يجد في وثائق آبائه وأجداده شبيهاً بذلك أن يزيح عنه الستار، لأنه لا يتعلق بأسرة بعينها، وإنما هو ملمح تاريخي للبلاد بأسرها.

ومن أهم الوصايا التي نشرت، أربع وصايا لن نتحدث عنها تحليلاً ومناقشة، ولن نتعرض لها بالتعريف ونشر محتوياتها، لأنها قد كتب عنها من قبل، ونشرت نصوصها، ولأن الدراسة تعطي حكماً محدوداً، يحسن أن يضاف معه مقارنات أخرى من وصايا ثانية، تزيد أفق الدراسة من مكان لآخر.

١ - وصية صبيح سنة ٧٤٧هـ وهو من أشيقر وكان مملوكاً لعقبة بن ريس فاعتقه، فعاش عيشة غنى وملك عقارات.. وهذه أقدم وصية حتى الآن، وصل إلى الناس علمها، لأنها مستفيضة على الألسنة، وخاصة في منطقة الوشم، مقرونة ببعض الحكايات عن هذا الرجل - صبيح - وزهده، وقد حدد فيها أكفاناً للموتى في شقراء وأشيقر والفرعة، وسباطاً، في ليالي الجمعة والاثنين والخميس، ويفرق منه الوالي ٣٠ صاعاً في الأرامل، إلى آخر ما حرص عليه الموصي.

لقد استنتج عبدالعزيز المبارك، وهو الذي عرضها في مجلة العرب، أن هذه الوثيقة تدل على كثرة من يحسن القراءة والكتابة في القرن التاسع الهجري في نجد، وعلى كثرة العلماء في هذه الحقبة أيضاً<sup>(١)</sup>.

٢ - وصية صقر بن قطام المتوفى سنة ٩٤٢هـ، وهو من أشيقر أيضاً، حيث حبس وأوقف جميع أملاكه في أشيقر على أشياء منها: غرم السيل، والجراد، أو طارقة تعم البلد.. وما فضل بعد العشر للناظر فعليه أن يطعمه سباطاً في

(١) راجع نص هذه الوثيقة وتحليل الكاتب عنها في مجلة العرب ج ١ ص ٢م ٥١ - ٥٩.

المسجد في شهر رمضان، وحدد منه أربعين صاعاً تقرأ يختص به الأرامل في بيوتهم، كل عام لمن يشتهين ويستحين، والزمن من الرجال، الذين لا يطبقون الوصول إلى الطعام<sup>(١)</sup>.

٣ - وصية رمثية بن قضيب المتوفى سنة ٨٩٦هـ وهو من أشيقر أيضاً، حيث حبس ووقف حائط روق الكائن في عقد الدينار في أشيقر الذي شهرته تغني عن تحديده، على مثل الوضع الذي سارت عليه وصية صبيح - مولى عقبة - ووصية صقر بن قطام.

ومن تحليل ورأي الذين تعرضوا لهذه الوصايا، يتضح أنها كانت من الأهمية والشهرة، بحيث تعددت الأقلام التي تناولت نسخها، وأن الناسخين هم من العلماء إثباتاً وتصديقاً، واحداً بعد آخر خوفاً عليها من التلف، وأن أشيقر كانت تزخر بهؤلاء العلماء خلال ثلاثة قرون، وهي الثامن والتاسع والعاشر<sup>(٢)</sup>.

كما استنتج أن هؤلاء الثلاثة ليس لهم عقب، وأنهم من طبقة العلماء الأغنياء، لأن نصوص ما تحويه هذه الوصايا، ذات عمق ديني وفقهي، وأن المذهب الحنبلي سائد في نجد منذ زمن قديم، وأتوقع أنه انتشر في القرن التاسع، أو مع بداية القرن العاشر، وقد أشار أحمد بن منقور إلى بعض العلماء الذين كانوا على المذهب الشافعي مثل الشيخ أحمد بن موسى الباهلي المتوفى في بداية القرن الثاني عشر والشيخ حسين بن عثمان بن زيد وهو من علماء القرن العاشر، والشيخ سليمان بن محمد بن شمس من القرن العاشر، وهو تلميذ للشيخ حسين.

كما أن هناك علماء على المذهب الحنفي، ومنهم راشد بن خنين، كما ذكر ذلك الشيخ سليمان بن سحمان في رسالة: الأسنة الحداد في الرد على علوي الحداد، وكما جاء في مجلة العرب<sup>(٣)</sup>.

وهناك من هو على المذهب المالكي، كالشيخ حسين بن غنام الأحسائي،

(١) راجع نفس هذه الوثيقة وتحليل الكاتب عنها في مجلة العرب ج ٢ م ٢ ص ٥٥٤ - ٥٦٠.

(٢) انظر المصدر السابق ص ٥٦٠ - ٥٦١. وانظر أيضاً الدارة العدد ٢ السنة ٤ ص ١٦.

(٣) راجع مجلة العرب وما جاء عن الشيخ راشد نسبه ومذهبه ج ٦، ص ٢٣. ذو القعدة والحجة عام ١٤٠٨هـ ص ٤١٢ - ٤١٧.

لأن المذهب المالكي منتشر هنالك وحتى الآن<sup>(١)</sup>، كما ذكر ابن بسام أن الغالب على أهل الخرج قبل دعوة الشيخ محمد أنهم على المذهب المالكي كما جاء في ج ١ ص ١٩، وج ٢ ص ٥٦٧ من علماء نجد في ستة قرون.

٤ - والوصية الرابعة هي : وصية إبراهيم بن سيف الشمري بتحويل أملاكه في الجمعة إلى مسجد وأوقاف عليه، بعد انتقاله من الجمعة، وسكنه المدينة المنورة.

وهذه الوصية لم يتضح تاريخ كتابتها، لكنها سابقة لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، لأن الشيخ محمد درس في المدينة، أثناء ذهابه لطلب العلم هناك على عبدالله بن إبراهيم بن سيف، وأجازه، وهو ابن إبراهيم الشمري، وولادته كانت في المدينة بعد انتقال أبيه إليها.

وقد أشار إلى ذلك المؤرخ إبراهيم بن عيسى في كتابه : تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد أثناء حديثه عن عمران المجمععة في القرن التاسع الهجري<sup>(٢)</sup>.

ومثل هذه الوصايا، لم يهتم الناس بها، ويتابعوا تسجيلها وتوثيقها إلا لتعلقها بالحق العام، الذي يشترك فيه كل فرد من أبناء البلد، أو لأن المسئول عن تنفيذها هم القضاة والعلماء، فيكون أمرها لمن بعدهم لأن الموصين لم يكن لهم عقب يتولى تنفيذ وصاياهم.

أما الذي من تلك الوصايا يتعلق بالورثة والأقرباء، أو التي يوصى فيها المورث بما يخصه في ثلث ما خلف، كما هو النص الشرعي في الوصية، مقروناً بما يخص الورثة، والوكالة عليهم، فهذا مما يحرص عليه الناس بالكتمان، وعدم النشر لتداخل حقوقهم مع حقوق غيرهم، وفي الغالب ينتهي الأمر بجيلين أو ثلاثة وتتعطل المنفعة.

كما لمسنا أن بعضاً من هذه الوصايا، قد حوّل أصحابه إلى منافع عامة ضمن أوقاف المساجد وغيرها وسلم للجهات المختصة، وأذكر من هذا في شقراء داراً كانت تقع غرب المسجد الجامع، اشتراها أحد حجاج الهند، وأوقفها على الغرباء سكناً لهم كانت تعرف باسم «دويرة الغرباء»، وبيتاً يقع في حي المدينة شمال

(١) الدارة المشار إليها ص ٢٧ والاسنة ص ٢٦٧.

(٢) راجع هذا الكتاب ص ٣٤.

المسجد الجامع والسوق التجاري، كان سجنًا للبلد، ويعرف باسم بيت المال والمتداول عند الناس قدم هذين الوقفين، لكن لم يعثر على أوراق تحدد الزمن ولا صفة الوقف غير ما هو مستفيض على الألسنة.

ولابد أن يوجد في كل بلد نماذج من ذلك من الأملاك الموقوفة عيناً أو منفعة.

وهذا ليس مهماً، لكن المهم هو النصوص التوقيفية التي ينطلق منها الباحث التاريخي، والمحلل الاجتماعي، في تفتيت المعلومات، والخروج باستنتاجات تهم الدارس، وتثري حصيلة الباحث.

ولعل الجهود المتظافرة، في الأيام المقبلة تكشف عن أشياء في هذا الصدد، يبرزها الاهتمام بالبحث، والرغبة في زيادة المعلومات، ويتعهدا ناشئة البلاد في بحوثهم المنهجية، ذات الطابع التعليمي، وتستخرج وثائقها من بين ممتلكات بعض الأسر العريقة، لأن مجالس القضاء، في كل بلد لا يوجد بها سجلات للضبط والتوثيق، وإنما القاضي يصادق على ما يصل إليه توثيقاً ليكون في أيدي أصحاب العلاقة. وحتى لو كان القاضي هو الموصى له بالتنفيذ فإن الغالب في مثل هذه الحالة، أن يعهد القاضي بالتنفيذ لمن يثق به من أهل الحسبة في البلد، ويرجع إلى القاضي مشورة واستفتاء في التنفيذ.



## الحصون والقلاع

لم يكن العرب قبل الإسلام يعتمدون في صحرائهم على التحصينات والقلاع، كما تفعل الفرس والروم المجاورة لبلاد العرب، بل والمستعينة ببلاد العرب، كخط دفاع أول لكل منهما في العراق والشام... لأن كلاً منهما اتخذت من الحصون والقلاع نموذجاً للدفاع هجمات الخصوم، مع أن العرب أمة محاربة، لأن أكثر حياتهم غير مستقرة، ولأنهم لم يتجمعوا في مدن وقرى تلم شعثهم، وتربط علاقاتهم، وتوحدتهم تحت قيادة منظمة... إلا في وقت متأخر... اللهم إلا بعض الحواضر التي كان لها مكانة في الثبات، ومكانة متميزة في الاستقرار كمدينة اليمامة والتي ذكر الشيخ حمد الجاسر: بأنها من أقدم الحواضر العربية، وعرفت بأنها مساكن طسم وجديس البائدتين، ثم حلت مكانهما قبل الإسلام قبيلة بني حنيفة<sup>(١)</sup>.

فنشأ العربي محباً للغارة، معتداً بالشجاعة والبسالة، منتمياً إلى عشيرته، ويستعيب أن يحتمي بأي أسلوب من أساليب الدفاع الوقائي، مما قد يفهم منه الجبن والخوف.

ثم جاء الإسلام فغير طباعهم، وهذب نفوسهم، وقلب مفاهيمهم للقتال، ونظرتهم للحياة بصفة عامة، حيث ساروا في جيوش المد الإسلامي، لنشر راية الإسلام، وإخراج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام. فاحتكوا بأمم ذات أسلوب قتالي منظم، وتسكن مدناً مستقرة، ضمن تجمعات سكانية تحافظ على الأموال والأولاد، فتأثروا بهم بعد أن غلبوهم، وأدخلوا من شاء الله هدايته منهم إلى حظيرة الإسلام.

وقد استفاد العرب في حضارة دولتهم الإسلامية، التي بسطت على أغلب المعمور من الأرض آنذاك، من أساليب الأمم فيما يتعلق، بالتحصينات القتالية، وطبقوا ذلك، بل طوروه في بلادهم، مع وجود الحاجة وتكاثر التجمعات أو الحاضر.

(١) راجع كتاب مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ دار اليمامة بالرياض رقم ٢ عام ١٣٨٦هـ.

فالخندق أسلوب دفاعي فارسي، عرضه سلمان رضي الله عنه على رسول الله ﷺ عندما تجمعت قريش، وتحزبت معها قبائل أخرى، ضد الرسالة المحمدية في السنة الخامسة من الهجرة، وعمل به لأول مرة في المدينة.

لكن الذي يهمننا هنا الأسلوب الدفاعي الذي نشأ في نجد بعد ذلك، إذ لم نقف على شيء من نماذج التحصينات والقلاع قبل الإسلام، ولا في أيامه الأولى، اللهم إلا ما روي عن حديقة مسيلمة الكذاب، وحصنه في اليمامة الذي لم يبق له أثر، وحصن مارد بالجوف<sup>(١)</sup>، وهذه المنطقة التي تعتبر من نجد شمالاً، إلا أن آثارهم وحصنها ترتبط بالرومان لقربها من ديار الشام<sup>(٢)</sup>.

وهذا عائد في نظري إلى قلة التجمع، وندرة الحواضر، لعدم الحاجة إلى الاستقرار، لأن حياة العرب الأولى بسبب قلة المياه، والانتجاع وراء الكلاء والمرعى، لم تعرف الهدوء والسكينة.

فهم يسعون خلف مواشيههم، وأماكن رعيها، حسبما يتوفر من كلاء، وحيثما يتواجد المطر. لكن وسط الجزيرة يمر به فترات خصب، ووفرة في المياه، نتيجة الأمطار التي يسوقها الله جلّت قدرته، فتخف الهجرة، ويتكاثر الناس، وتعمّر المدن، وتزدهر القرى والمزارع، كما توجد تجمعات متناثرة حيث المياه التي جذبت الناس للاستقرار.

وتبعاً لذلك تكثر فرص العمل، ويأتي دور التنافس على السلطة، ويحتاج سكان المدر - المدن والقرى - إلى نوع من التحصينات، التي تحمي المكاسب، وتحافظ على النساء والأولاد والشيخوخ، وتعطي الناس شيئاً من الطمأنينة والتألف.

ولما كانت المنطقة بعد أن بعدت عن موطن الخلافة العباسية في بغداد، التي دبّ فيها الضعف مع كثرة الفتن والقلال، قد نسيتها الدولة الشرعية، كما نسيها الكتّابون والمؤرخون، فلم يرصدوا من أخبارها إلا القليل - والقليل جداً - في عهد الدولة الأخيضرية من عام ٢٥٣هـ إلى عام ٣١٧هـ. ثم في حركة القرامطة التي اعتمدت خلال وجودها ثم بعد زوالها: المعالم والأخبار التاريخية في نجد اللهم إلا النزر اليسير.

(١) راجع كتاب شمال غرب الجزيرة للشيخ حمد الجاسر ١٤٠ - ١٤٢ و ص ١٤٥ - ١٤٦ .  
(٢) راجع كتاب الجوف وادي النفاخ للأمير عبدالرحمن السديري ص ٧٩ - ٨٠ عن المعالم الأثرية وقصر مارد.

والقرامطة قد جاؤا المنطقة بعد الأخيضريين، واستمر نفوذهم في المنطقة من عام ٣١٧هـ إلى عام ٤٧٠هـ، حتى قضى عليهم العيونيون، وأقاموا دولتهم في الأحساء<sup>(١)</sup>.

بعد ذلك عاد وسط الجزيرة إلى الفوضى، وتعاظم التسلط القبلي، ثم التحكم الفردي العشائري، وأغفل المؤرخون - فيما وصل إلينا علمه - رصد المعلومات عن هذه المنطقة، إلا لمحات شاردة تستقر من هنا وهناك، حتى هيا الله لها حركة إسلامية جمعت الشمل، وأعادت التنظيم، عندما التقت الدولة والدين في دعوة إصلاحية، سداها ولحمتها الإسلام، والرغبة في إقامة دولة تركز على دعائمه قاد أمرها، وأخذ بزمامها الإمامان: محمد بن سعود، ومحمد بن عبد الوهاب رحمهما الله منذ عام ١١٥٨هـ ولذا نرى أن التحصينات تأتي في أماكن التجمع، خلال الفترة الزمنية الطويلة، التي سبقت الدعوة، وهي الفترة التي نحن بصدد الحديث عنها، وهذه التحصينات تأتي على أنواع:

١ - قصور وحصون محكمة بحسب نوعية البناء في هذه المناطق، وهو دائماً من خامات البيئة المكونة من الطين والحجارة.

٢ - أسوار تحمي المدن والقرى، وبكل سور مجموعة من الأبراج والأبواب، بحسب محيط ذلك السور واتساع دائرته، أو ضيقها.

٣ - خنادق خلف الأسوار.

٤ - قلاع ومقاصير متكاثرة في أسوار المزارع والقرى، وأركان القصور، وعلى بوابات المدن.

وقد تأتي منفردة على المرتفعات والممرات الموصلة للمدن والقرى، أو على حدود المزارع ومراعي الماشية.

وكل هذه الأساليب الدفاعية جديدة في حياة أبناء الصحراء، استفادوها لحماية أنفسهم وممتلكاتهم في أماكن تجمعاتهم وحواضرهم من الأمم الأخرى مع احتكاكهم بها، واستفادتهم من طريقتهم في منهج الوقاية وأساليب الحياة المستقرة.

(١) راجع مجلة العرب للشيخ حمد الجاسر ج ٩ مجلد ص ٧٨٦. وكتاب تحفة المستفيد لمحمد بن عبد الله آل عبد القادر ج ١ ص ٩٨، ص ١١٩. وكتاب أنساب الأسر الحاكمة في الأحساء لأبي عبد الرحمن بن عقيل القسم الأول ص ٥٧ - ٩٥.

وهذا في نظري مما أحوج إليه تكاثر العدد، وبناء المدن، وتوفير أسباب الاستقرار، مما يستدعي الحرص على الوقاية، والمحافظة على المكاسب. وأغلب هذه الأساليب الدفاعية، قد ظهر بصورة واضحة في عهد الدولة السعودية الأولى الذي بدأ من عام ١١٥٨هـ، حيث انتقلت البلاد من حياة الفوضى والخضوع لأعراف القبيلة، إلى أسلوب الدولة المنظمة الموحدة لأجزاء البلاد، المستمد من تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في أمور الناس وقضاياهم. حيث تكونت القيادات الموحدة للجيش، وانتظمت المسيرة للقتال، رغبة في نشر دين الله في جميع الجهات المحيطة بالدرعية، قاعدة هذه الدولة.

وقد توسعت تلك المسيرة مما أخاف أعداء الإسلام، وجعلهم يُعملون حيلهم، ويبذلون جهودهم للتحريض والنيل من هذه الدولة الفتية، التي أيقظت المسلمين في كل مكان.

ولورجعنا إلى الوراء قليلاً، لتتبع ما رصد من أخبار، أو دون من معلومات، على قلتها عن وسط الجزيرة العربية - ونعني به غالبية نجد - قبل قرنين ونصف، وهي الحقبة التي سبقت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله - لوجدنا لأهل تلك المناطق فلسفة في أنواع التحصينات فمثلاً:

١ - الحصون والقصور المحكمة: نلمس أن هذه الفكرة قد بدأت مع بداية بناء المدن والقرى، فكان أول شيء يبنى في الموقع المختار، هو بيت كبير القوم، ويلتم حوله بيوت جماعته وأعوانه وكلما حصل تنافر أو شقاق بين أسرتين، أو بلدين متجاورتين - وهذا كثير جداً - حيث يستقرىء ذلك كل من يقرأ الكتب التي تحدثت عن المنطقة، وأشارت إلى تنف من ذلك في رصدها للأحداث في مثل: تاريخ ابن غنام، وتاريخ ابن بشر، وتاريخ أحمد المنقور، وتاريخ محمد بن عمر الفاخري .. وغيرهم.

أو بين الأخوة الأشقاء، كما يترأى لنا في حوادث بعض البلدان عند هؤلاء وغيرهم.

ففي هذه الحالة يحرص الخصم على قتل من يحتل ذلك القصر، أو الاستيلاء عليه وإخراجه بحيلة، ويندر أن تجد مدينة أو قرية، لا يوجد فيها قصر يمثل

مركز الصدارة، وموطن القوة، وهذا النوع يمثل الخطوة الأولى من الاستحكامات في وسط الجزيرة العربية، ومن ذلك ما ذكره العصامي في تاريخه عن مسيرة الشريف حسن بن أبي نمي من مكة إلى نجد، ومحاصرته لمعكال في الرياض، ثم فتحه مدناً وحصوناً تعرف بالبديع والخرج والسلمية واليامة في عامي ٩٨٦هـ - ٩٨٧هـ<sup>(١)</sup>، واستيلاء زيد جد قبيلة بني زيد على قصر عدي في شقراء، وإجلاء سكانها منها<sup>(٢)</sup>، ولن نجد غزوة أو حادثة تاريخية عند المؤرخين لتلك المنطقة دون أن يأتي ذكر لذلك، إلا أنه يحكي البساطة في الدفاع، التي تجابه البساطة في القوة الهجومية أيضاً، كما ذكر ابن بشر في عام ١٠٩٨هـ وفيها سار أهل بلد حريملاء ومعهم محمد بن مقرن صاحب الدرعية وزامل بن عثمان وتوجهوا إلى بلد سدوس وهدموا قصره<sup>(٣)</sup> إلا أن مثل هذا النوع من الاستحكامات يعتبر ضد نوع معين ومحدود من المقاتلين، وهذا ما يحدد الزعامة الفردية، أو الخلافات الأسرية، والأفراد المتجاورين.

وفيما مررنا عن غزوة أبي نمي، فإنها تبرز الزعامات الجماعية، ورغبة القوي تحريك جيش لإخضاع من هو أضعف منه، وبالدفاع في مناطق التجمع، أو الكثافة العشائرية، تبرز الحصون الأمنع وبنائها الأقوى... ويظهر هذا في مثل حصون اليامة - الرياض وما حولها - تلك المنطقة التي كانت مركزاً حضارياً في منطقة نجد لخصوبة التربة، ووفرة المياه في العصور المختلفة، حيث أشار الشيخ حمد الجاسر إلى طرف من هذا في كتابه مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ<sup>(٤)</sup>، وياقوت الحموي [٥٧٤ - ٦٢٦هـ] في كتابه معجم البلدان<sup>(٥)</sup>، أما حصن الأفلاج، وحصن اليامة فقد ذكرهما وتحديث عنهما ناصر خسرو، عند مروره باليامة والأفلاج في رحلته عام ٤٤٣هـ، كما ذكر في هذه الرحلة أيضاً أنه منذ خرج من الطائف وهو يمر بقرى وقلاع وحصون<sup>(٦)</sup>.

(١) راجع سوابق ابن بشر ج ٢ ص ٣٠٤.

(٢) انظر كتابنا شقراء ص ٦٥.

(٣) انظر سوابق بن بشر: عنوان المجد ٢ : ٣٠٤.

(٤) انظر على سبيل المثال هذا الكتاب ص ٢٢ - ٢٤.

(٥) انظر على سبيل المثال هذا الكتاب ج ٥ ص ٤٤١ - ٤٤٧.

(٦) راجع كتابه سفرنامة ترجمة د. يحيى الخشاب ص ١٣٧، ١٤١.

كما أشار الشيخ حمد الجاسر إلى أن دهام بن دواس ، عندما شعر بخطر يهدده من الدرعية في بدء تجديد الدعوة ، لأنه لم يستجب لها ، حيث كان أول من وجهت إليه الدعوة لقربه من الدرعية ، فقد بدأ في تحصين الرياض ، فبنى سوراً ، كما بنى القصر الذي أصبح فيما بعد مقراً للإمارة والحكم بعد إعادة البناء وتجديد التحصين فبنى بعض الحصون والقصور ، التي استقاها ممن قبله ، وتوقع أنها تحميهِ<sup>(١)</sup> ، وبذا يعتبر أول من بنى سوراً كبيراً على التجمعات السكانية لحي الرياض ، وقد ضم بعضاً من القرى المتجاورة كالبنية ومقرن كما ذكر ابن بشر ، حيث دخلت تلك القرى ، ومراكز التجمعات في مدينة الرياض الحالية .

وفي منطقة الوشم ذكر ياقوت الحموي ، حسبما نقل عنه الزبيدي في تاج العروس ، عن بدوي من تلك الناحية : أن الوشم خمس قرى عليها سور واحد من لبن ، وفيها زرع ونخل لبني عائذ لآل يزيد ، ومن يتفرع منهم ، والقرية الجامعة فيها ثرمداء ، وبعدها شقراء وأشيقر وأبو الريش والمحمدية<sup>(٢)</sup> ، فإن صح هذا الخبر فإن هذا السور من أضخم التحصينات في الجزيرة العربية حيث تبلغ المسافة بين ثرمداء ، وأشيقر طويلاً ٤٤ كم .

وفي عالية نجد ذكر الشيخ سعد بن جندل أن بأسفل الشعراء في القرن الحادي عشر الهجري ، قصر لعجل بن حنيتم شيخ آل مغيرة ، الذين كان لهم صولة وجولة في المنطقة<sup>(٣)</sup> ، وقد ذكر الشيخ محمد بن بليهد رحمه الله أن الأعراب تنزل بجواره وتحتمي به<sup>(٤)</sup> .

وقد رأيت نموذجاً من قصر منيع في مدينة جلاجل في سدير ، يعرف هناك باسم قصر جلاجل ، أو قصر سويد ، قارنته بقصر هشام بن عبد الملك في مدينة أريحا في الأردن ، حيث لمست تشابهاً في التصميم ، وتماثلاً في الشكل والتوزيع ، إلا أن قصر هشام أكبر مساحة ، وأجود بناء ، فهو مبني من الحجر ، وهذا من الحجر والطين ، فأساسه وأسفله من الحجر ، ولكن جدرانه وقواطعه من الطين<sup>(٥)</sup>

(١) انظر مدينة الرياض للشيخ حمد الجاسر ص ٩٥ .

(٢) انظر التاج ج ٩ ص ٩٤ .

(٣) انظر كتابه عالية نجد ج ٢ ص ٧٦٢ ، ٧٩٤ ، ٧٩٦ .

(٤) انظر كتابه صحيح الأخبار ج ٢ ص ١٢٨ .

(٥) راجع بحثنا عن جلاجل في مجلة الدارة شوال عام ١٤٠١ هـ ص ١٠٦ وما بعدها .

وعندما يقرأ الباحث الكتب التي كتبت تأريخ نجد في تلك الحقبة، وهي قليلة، ونموذجها ابن بشر في تاريخه المجد في «تاريخ نجد»، نجده أورد ما يقرب من ثلاثين قصراً كلها في المنطقة الوسطى إلا أنه لم يوضح تأريخ بناء هذه القصور، ولا كيفية الاستحكامات فيها.

أما الهمداني [٢٨٠ - ٣٣٤هـ]، في وصفه منطقة العروض من جزيرة العرب، وخاصة الفلج فقد ذكر مدناً ذات أسوار عظيمة، إلى جانب أكثر من أربعين حصناً<sup>(١)</sup>، كما أن هناك إشارات لبعض الحصون والقلاع في منطقة الجوف ذكرها الأمير عبدالرحمن السديري في كتابه: الجوف<sup>(٢)</sup>.

٢ - الأسوار التي تحمي المدن والقرى: يعتبر هذا النوع من التحصين دليلاً على التجمع السكاني، والوفرة في حياة المدن، حيث أن الحياة المتكاثرة وما يتبعها من أعمال وحرف وتجارة، تحتاج إلى حماية أوسع، وتكاتف في التحصين، وقوة في الدفاع، لأن هذه القوة الدفاعية مبنية على افتراض قوة مهاجمة.

وهذه الأسوار تعتبر حاجزاً منيعاً، وقوة لحماية المساكن المأهولة... فتحفظ بالأبواب المحكمة لإغلاقها عند الحاجة، أما البدوي المتنقل فلا يحتاج لذلك لعدم وجود ما يدعو للارتباط بالأرض، فإذا هددته خطر لا يستطيع مقاومته هرب بأهله وماله لمكان آخر أكثر أمناً..

وما نلمسه من نصوص تاريخية توضح هذه الأسوار، يبرز بها عوامل حضارية عديدة في السكنى وفي التصميم وفي قوة البناء، وفي أساليب الدفاع.

فعلاوة على ما مرّ بنا من نص ذكره الزبيدي عن ياقوت عن سور الوشم، فإن الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب قد ذكر، أن سوق الفلج - الأفلاج حالياً - وهي منطقة غنية بالمياه وتبعد عن الرياض جنوباً بـ ٣٥٠ كم تقريباً - عليها أبواب الحديد، وأن سمك سورها ثلاثون ذراعاً ومحيط به الخندق<sup>(٣)</sup>.

وفي وقت متأخر، يأتي المؤرخ إبراهيم بن صالح بن عيسى ليذكر أنه في القرن الثامن الهجري: كان أهل أشيقر قد قسموا البلد قسمين، يوم يخرج

(١) انظر كتابه صفة جزيرة العرب ص ٣٠٤ - ٣٠٧.

(٢) انظر الجوف وادي نفاخ ص ٧٩ - ٩٥، وللرحالين الذين زاروا وسط الجزيرة آراء واستنتاجات.

(٣) راجع هذا الكتاب ص ٣٠٥.

الوهبة بأنعامهم وسوانيتهم للمرعى ، ومعهم سلاحهم ، وذلك أيام الربيع ، ويقعد بنو وائل - وهم جيران للوهبة - يسقون زروعهم ونخيلهم ، ويوم يخرج فيه بنو وائل بأنعامهم وسوانيتهم ، ويقعدون الوهبة يسقون زروعهم ونخيلهم ، فقال بعض الوهبة : أن الرأي إذا كان اليوم الذي يخرج فيه بنو وائل للمرعى ، وانتصف النهار ، أخرجنا نساءهم وأولادهم ، وما هو خفيف من أموالهم خارج البلد ، وأغلقتنا الأبواب دونهم ، وأخذنا سلاحنا وجعلنا في بروج البلد بوارديه يحفظون البلد ، ببنادقهم ، فإذا رجع بنو وائل آخر النهار منعناهم من الدخول ، ففعلوا ذلك ، إلى آخر القصة التي ذكر<sup>(١)</sup> .

وهذا النوع من التحصينات ، مثلما أنه يحمي في الصراعات الجانبية ، فإنه يحمي ضد الغزوات من الوافدين ، أو تسلط هجمات البادية . .

وقبل الحكم السعودي الأول في الدرعية ، الذي بدأت بشائره من التقاء الشيخين محمد بن سعود ومحمد بن عبد الوهاب رحمهما الله في عام ١١٥٨هـ ، نجد أن أغلب الضرر على المدن والممتلكات في مدن وقرى نجد ، من أشرف مكة ، أو من بني خالد بالأحساء ، كما ذكر ابن منقور [١٠٦٧ - ١١٢٥هـ] والفاخري [١١٨٦ - ١٢٢٢هـ] وابن بشر [١٢١٠ - ١٢٩٠هـ] في تواريخهم ، وقبلهم العصامي [١٠٤٩ - ١١١١هـ] في كتابه سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، الذي ذكر في حوادث عام ٩٨٦هـ أن الشريف حسن بن أبي نمي سار في تلك السنة بجيش قوامه أكثر من خمسين ألف مقاتل ، وغزا بلدة معكال - أصبحت الآن حياً من أحياء مدينة الرياض - وقتل رجالاً ونهب أموالاً .. إلى آخر ما ذكر عن تلك الغزوة وما اعترض طريقه من تحصينات وقلاع . كما ذكر الشيخ إبراهيم بن عيسى [١٢٧٠ - ١٣٤٣هـ] ، أن الشريف محمد بن حسين بن أبي نمي خرج في عام ١٠١٥هـ إلى نجد ، وقتل أهل القصب ونهبهم ، ودمر بلدة الرقيبية المعروفة في بلد القصب من الوشم ، وقتل أهلها<sup>(٢)</sup> . وفي تتبعي لتواريخ المدن والقرى في نجد ، فإنني لم أجد واحدة منها بدون سور وقلاع مقاصير للدفاع ، أو بدون أبراج للحماية والاستطلاع ، سواء فيما يتعلق بالأنفس ، أو بالممتلكات من زروع وحيوانات .

(١) انظر كتابه : تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ص ٢٨ - ٣٠ تحقيق الشيخ حمد الجاسر .

(٢) انظر تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد تأليف ابن عيسى ص ٤٩ - ٥٠ .



وكانت عادة الناس التناوب في الحماية والمدافعة، وأن الغزو إذا حلّ رجاله بالبلد المغزو، أو انتصر على أهلها، فإنهم يهتمون بما يضعف شوكة المغلوبين، وذلك بهدم السور، وتحطيم القلاع ودفن ما يوجد من خنادق، حتى تصبح البلد مكشوفة، وضعيفة الحماية.

وهذا ناصر خسرو في رحلته عام ٤٤٢ - ٤٤٣ هـ إلى الحج، ثم مروره بنجد فالأحساء ثم البصرة، يذكر أن مدينة جدة كانت محاطة بسور، وكذا مكة المكرمة، محاطة بسور أيضاً<sup>(١)</sup>، وأن فلج التي مكث فيها قرابة سنة - الأفلاج - كان بها أربع عشرة قلعة<sup>(٢)</sup>.

وقد مرّ بنا فكرة إشادة دهام بن دواس [١١٨٥ - ١٢٠٠ هـ] لسور الرياض، مما يدل على أن هذا البناء تجديد لحالة سابقة، وأن الأسوار هي الخلفيات الدفاعية في البيئة.

وهنا نذكر بعضاً من الأسوار - وليس على سبيل الحصر - ليقف القارئ على نوع من المعالم الحضارية في المنطقة، مقرونة ببعض التواريخ التقريبية في الاهتمام بالتحصينات، علماً بأن هناك حصوناً، وأسواراً دمرت ولم يرصد عنها شيء.

١ - سور الدريبي في بريدة بالقصيم، وهذا هو أقدم أسوارها، الذي قال عنه الشيخ محمد العبودي، بأنه منسوب إلى حمود بن عبدالله الدريبي المتوفى عام ١١٥٤ هـ، وهذا السور يظهر بريدة صغيرة الحجم، ضيقة المساحة<sup>(٣)</sup>.

ومن هذا النص نستنتج أن هذا السور بني في النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري.

٢ - أسوار عنيزة التي أشار إليها الشيخ محمد العبودي في معجمه عن منطقة القصيم، ولكن لم يتضح تأريخ بناء أولها، ولكن المدينة عمرت عام ٦٣٠ هـ<sup>(٤)</sup>.

٣ - سور مدينة شقراء الأول، حاضرة الوشم، وله عدة أبراج وبوابتان، لم يعرف تأريخ بنائه، لكن البلد نمت واتسعت بعده، حيث تضاعف حجمها قبل بناء السور الثاني، ومعه استحكامات ومقاصير مربعة، وقد بنى لمحاربة حملات إبراهيم باشا ضد الدولة السعودية الأولى، وكان بناء هذا السور الثاني، الذي

(١) انظر كتابه سفرنامه ترجمة د. الخشاب ص ١٢٠، ١٢١.

(٢) نفس المصدر ص ١٣٩.

(٣) راجع كتابه المعجم الجغرافي في بلاد القصيم ج ٢ ص ٤٨٦.

(٤) نفس المصدر ج ٤ ص ١٦٤٦.

في حوادث عام ١٢٣٢هـ، وابن دعيج في منظومته التاريخية، لأنه معاصر لتلك الأحداث<sup>(١)</sup>، كما ذكر ابن بشر في سابقه ١٠٨٤هـ نقلاً عن العصامي أن الشريف بركات خرج بعساكره لقتال حرب وشيخهم يومئذ أحمد بن رحمه بن مغيان وكان الظفر للشريف ولم تنفعهم خنادقهم التي حفروها<sup>(٢)</sup>.

٤ - وفي حريملاء يذكر ابن طعيس: أن حامي أبوريشة قد بنى في العقدين الأخيرين من القرن التاسع الهجري، من الحجر والعروق الطينية - وهذا نوع من تقوية الطين في البناء - ثم تلاه سور الحسيان في النصف الثاني من القرن الهجري<sup>(٣)</sup>.

٥ - وفي حوطة بني تميم يذكر على الصرامي في كتابه عن تاريخ جغرافية هذه المدينة نماذج من القصور، والقلاع والخرائب والأسوار القديمة، التي حرص أصحابها على قوة البناء والاستحكام، حيث يرجع بعضها إلى حوالي ستمائة سنة<sup>(٤)</sup>.

٦ - ومن ينظر في بقايا سور التويم في سدير، وسماكة بنائه، يدرك أن هذا السور عاصر الصراع بينها وبين جلاجل في القرن الحادي عشر الهجري، كما ذكر ذلك ابن بشر، والفاخري، وابن عيسى في الحوادث التاريخية عند كل منهم، أو قبل ذلك التاريخ. . وأن ضخامة هذا السور يدل على قوة دفاعية، وكثرة سكانية، واستعداد من أهل البلد في تحصين بلدهم وحمايتهم من الآفات العديدة، ويدل على مكانة التويم: تجمع الأسر فيها في القرن الثامن الهجري، ثم بدء النزوح منها ففي عام ٧٧٠هـ نزح منها ابن مدلج إلى حرمة وعمرها، ونزح منها آل أبورباع إلى حريملاء، وغيرهم.

٧ - وهناك أسوار لعديد من المدن، لا بد أن تكون قد سبقت تاريخ دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كثير من البلدان مثل: الجمعة، وحرمة، منفوحة، ثرمداء، ملهم، وغيرها من قرى ومدن نجد، كما ذكر

(١) انظر عنوان المجلد لابن بشر الطبعة الرابعة ٢ : ٣٨٩، وكتابنا شقراء ص ١٢٧، ص ٢٧٣ - ٢٧٤.

(٢) انظر بعضاً من هذه المنظومة في مجلة الدارة العدد الرابع السنة الثامنة رجب عام ١٤٠٣هـ.

(٣) راجع كتابه حريملاء ص ٦٠ - ٦١.

(٤) راجع هذا الكتاب ص ٢٣٦ - ٢٥٢٠، ٢٦٠.

العصامي في تاريخه أنه في عام ١٠٣٢هـ سار الشريف محسن بن يحيى إلى ناحية الشرق ووصل إلى قريب الأحساء واجتمع بذوي عبدالمطلب وضربت خيامهم قبالة الباب القبلي من سوره<sup>(١)</sup>.

أما القلاع الحجرية الموجودة على الجبال المشرفة على المنافذ والممرات، والجبال المطلّة على البلدان فهي ذات أهداف حربية، وغايات مدنية .  
فأما أهدافها المدنية، فهي الحراسة والإشراف على حدود البلد ومزارعها ومراعي أنعامها . . والرصد للذئاب حتى لا تعتدي على البلد وأغنامها .  
أما الناحية العسكرية فأتوقع أن فكرة التوسع فيها، والاهتمام بها لكل بلد، جاءت بعد قيام الدولة السعودية الأولى في الدرعية، لما في ذلك من تحديد في البناء، وإحكام في الحراسة من جهة، ومن جهة أخرى فإن فيها تقليداً عثمانياً في القلاع التي تجعل على طرق القوافل لحمايتها، وبقرى المدن لحراستها: وهي عادة تكون مرتفعة البناء، قوية التصميم، مبنية من الأحجار الكبيرة لتصمد أمام أقوى سلاح يستعمل في ذلك الزمان، لتشرف على المدن والقرى ومزارعها، وعلى الطرق ومراعي الأنعام كحامي للبلد.

أما القصور وحمايتها بقلاع في أركانها الأربعة، وتعرف باسم مربعة، لأن أغلبها مربع الشكل، فهي ذات تقليد روماني، إذ هذا النمط قد عرف عند الرومان قبل الإسلام، كضرب من التحصينات قبل أن يعرفه العرب، لكن العرب أدخلوا عليه من التحسينات الدفاعية ما يتلاءم مع طبيعة الحياة في بلادهم.

وكان هذا في البداية التكوينية لحماية التجمعات السكانية، والمحاصيل الزراعية والأنعام عن المعتدين وقطاع الطرق .  
أما في حالات الخوف من الأعداء فيقومون عليها حراسة بالتناوب ليلاً ونهاراً، وخاصة في أماكن التجمعات الزراعية، حيث تجعل مداخل القلاع إلى داخل الحصن، ويشملها اسم قصر، ولكل قلعة بابها الموصل إلى الحصن المربع، وهذا الحصن لا يوجد له إلا باب واحد، يغلق بإحكام، وتقام عليه

(١) راجع سمط النجوم العوالى حوادث عام ١٠٣٢هـ.

الحراسة الشديدة، ويعهد بذلك إلى حارس أمين يسمى النائب، أو بواب القصر ثم تكاثرت تلك القلاع، مع اتساع الاسوار، وامتداد محيطها. وتعدد تبع لذلك وجود الممرات والنوافذ.

وإن مما جرت به العادة ضمن الاستحكامات العسكرية، التي تمتد جذورها جيلاً بعد جيل الاهتمام بالغذاء، والمحافظة على التموين. فكان في القصور والتحصينات اهتمامات بالمخازن للحبوب، ومحافظة على اهم عنصر يحتاجه الانسان وهو الماء الذي لا تستقيم بدونه الحياة فكانت بواطن القلاع، ووسط القصور، وما تحويه اسوار المدن اماكن مخصصة لذلك فالابار تحفر ليسهل الاستسقاء بكميات كبيرة، ويتبارى الناس بحفر الآبار في بيوتهم وبجوار مسجدهم . . ويحرص قادتهم عند الخطر على التأكيد على الناس بشراء تموينات تكفيهم لمدة طويلة. لهم ولوإسائهم.

وهذه العادة قديمة قدم الحاجة الى الحصون، والحماية النفسية، فهذا الهمداني [٢٨٠ - ٣٣٤هـ] يقول عن فلج - الأفلاج - وفي جوف السوق مائتان وستون بئراً مأوها عذب فرات يشاكل ماء السماء ولا يغيض، ويبين انها داخل سور المدينة، واعدت للمناسبات الحربية<sup>(١)</sup>.

كما ضرب ابن بشر في تاريخه نموذجاً آخر في حرب شقراء، فقال عن اميرها: ثم الزهمهم - اهل البلد - كل رجل غني يشتري من الحنطة بعدد معلوم من الريالات خوفاً ان يطول عليهم الحصار، فاشتروا من الطعام شيئاً كثيراً ٠٠ ثم ذكر نماذج من الاستعداد الحربي والتحسين الوقائي للبلد وأهلها ونخليها من اضرار الحرب<sup>(٢)</sup>.

هذه نماذج عن بعض الاهتمامات بالنواحي الوقائية، التي تمثل الأمن السكاني في نجد ذلك الوقت، وتمثل الجهود المبذولة في ذلك من الهندسة التخطيطية، والإبتكارات العلمية الصرفة، والاهتمامات الاستراتيجية في المحافظة على الأنفس والممتلكات، معلماً حضارياً، دعت إليه الحاجة، لأن الحاجة أم الاختراع، والاستفادة مما عمله الآخرون مع تطويره بما يتلاءم مع البيئة، والقدرات من السمات البشرية في كل زمان ومكان . .

(١) انظر صفة جزيرة العرب ص ٣٠٥ - ٣٠٦.

(٢) راجع عنوان المجد ج ١ ص ٣٨٩ - ٣٩٠.

## النجان والصناعة

يقال في الامثال العربية: الحاجة تفتق الحيلة ٠٠ وحور هذا المثل في العصر الحاضر الى قولهم الحاجة ام الاختراع .. وكما هي العادة الانسانية بان يستغل الفرد ما هو متوفر في بيئته لصنيع حاجات حياته الضرورية .. فإن أبناء وسط الجزيرة العربية، حاولوا الانتفاع في حياتهم اليومية بما هو متوفر في مجتمعهم، واستوردوا من المواد الخام، ما لم يتوفر محلياً من مناطق التجارة التي تمتد إليها قوافلهم التجارية، حيث لم يكونوا منغلقيين على انفسهم، كما يتوهم بعض الكتابين، وقد قامت على ذلك صناعات يدوية عديدة .. لتلبية حاجة ملحة للفرد في بيئته، وللمساهمة في تغطية حاجات المجتمع.

والصناعات التي عرفت في المنطقة ذلك الوقت على أنواع:-

١ - نجارة يدوية: يحتاج فيها النجار الى استيراد أدواتها التي لم تكن مصنعة محلياً، لكنه يستطيع اصلاح ما خرب منها. وتطویر هذه الادوات وفق متطلبات عمله .. وبهذه الوسيلة يعمل النجار ما يلبي حاجته وحاجة من حوله من أبواب خشبية، وسقوف واقفاص وصناديق، أو أدوات للرحال، والمحاريث ومعدات .. وغيرها.

والأخشاب التي يحتاجها النجار لهذه الصناعة الخفيفة متوفرة بين يديه، فهي من اشجار النخيل، واخشاب الأثل، وهما اهم مورد إلى جانب بقية الاخشاب الاخرى برية أو مزروعة ..

والأثل والنخيل، تتوافران بكثرة. لأنهما من اشجار البيئة وتتحملان الجفاف وحرارة الجو، وبهما تسقف البيوت، وتعمل الجسور الصغيرة، وحظائر الماشية، وبعض الاواني المنزلية، والصناديق وهناك صناعات يدوية دقيقة، تتوفر في الحواضر، تهيأ لها اجود انواع الاخشاب، ولا يجيدها الا المهرة من ارباب هذه الصناعة، حيث وجدت نماذج من صناعاتهم، محتفظة بجودتها فترة طويلة من الزمن، مثل صناعة جفان الطعام الخشبية، التي جاء ذكرها في الأشعار لتدل

على الكرم بسعتها وضخامتها . والمباخر والمنافخ الهوائية . . والأبواب الخشبية المزخرفة وأقفالها ، والأشدة للجمال ، والسرج للخليل . وغير هذا من نماذج تبرهن على حذق في هذه الصناعة ، واهتمام بدقائقها .

٢ - حدادة تعتمد على صهر الحديد ، وطرقه ، وهي أمكن من الأولى وأثقل فينتج عنها صناعة الأسلحة من سيوف ورماح وتروس ودروع ، وغيرها من عدة الحرب ، وصناعات تتطلبها حياة الحرث والزرع كصناعة المحاريث والمساحي ، والفؤوس والسكاكين والمنجل وغيرها .

ومن يستقرىء تاريخ المنطقة . فإنه لن يعدم وجود أسماء بعض الأسر المنتسبة الى صناعة من تلك الصنائع المتعددة ، التي كانوا يزاولونها كالحداد والخزاز والنجار والصائغ والرماح وغيرها .

والصناعة على انواع : فصانع القدور والصحون النحاسية يدعى صفاراً ، حيث يدخل مع هذه الصناعة مالونه اصفر من المواد الخام كبعض الأواني المنزلية التي تاخذ شكلاً جمالياً ، ولا يستعملها الا علىة المجتمع مثل الأباريق واواني الوضوء ، وتسخين المياه ويسمى العامل فيها نحاساً ، كما سمي النجار نجاراً لنجارته الخشب .

٣ - وصياغة الذهب والفضة ، وهو صهرهما ووضعهما في قوالب واشكال تتلاءم مع اذواق الناس في التحلي ، تعتبر من اقدم الصناعات في المنطقة ، إذ امتدت جذورها من الجاهلية ، ويدعى المحترفون لها صاغة وصواغاً . وقد عرفت المدن والقرى الكبيرة بوفرة من اصحاب تلك الحرف ، ولها سوق رائجة . وارباب الحرف في الغالب ، هم اوسع الناس عيشاً واكثرهم استقراراً .

٤ - وهناك صناعات أخرى تقوم على متوفر ما في البيئة : كالنسيج للملابس والعبى رجالية ونسائية والفرش من الصوف والوبر ، والخرازة للقرب والفرش وتصنيع الأواني من الجلود ، والدباغة للجلود أيضاً بمواد أولية من نبات المنطقة ، والصباغة بتلوين الملابس والفرش ، وتركيب الألوان من النباتات والمواد الأولية والزراعية ، لاستخراج الألوان المناسبة . . وغير هذا من أمور كثيرة أحوجتها الضرورة علاوة على البناء والهندسة في الأحجار ، والسدود والآبار . .

إن الصناعات في بلاد العرب ، تعتمد على الخامات والمواد الأولية ، وقد كانت نجد منذ عصر الجاهلية حتى قرب ظهور الدولة السعودية الأولى في

الدرعية، ذات مدّ وجزر في المجال الصناعي، لأن المعادن متوفرة.. والحاجة داعية إلى تلك المصنوعات.

فقد ذكر الهمداني [٢٨٠ - ٣٣٤هـ] في كتابة صفة جزيرة العرب أسماء أماكن عرفت بأنها معادن، وتبلغ هذه المعادن مقرونة بأسمائها ٢٢ موضعاً<sup>(١)</sup> حيث يبين في ذلك بأن أغلب أماكن التعدين في اليمامة «منطقة الرياض حالياً» حيث سكنتها وماحولها، قبائل عرفت بامتهان الصناعة كباهلة وبني أسد وبني سليم مثلاً.. تلك القبائل التي خف ميزانها عند المتقدمين لأن الصناعة قد غلبت على مجموعة منهم، وبعضهم عمل في التعدين. كما أشار إلى شيء من ذلك الأصفهاني في كتابه بلاد العرب، وذكر ما يقرب من ثلاثين موضعاً للمعادن.. ومثل هذا البكري الذي اهتم بالمعادن وأماكنها في بلاد العرب في كتابه: معجم ما استعجم وغيرهم.. مما يدل على أهمية المعادن في الجزيرة العربية وامتدادها إلى العصر الذي نتحدث عنه.

وفي تحليل الشيخ الجاسر لامتهان باهلة الصناعة: أن أسباب ذلك لوجود بلاد باهلة في جهة من نجد تكثر فيها المعادن، وهي على درجة حسنة في الخصب. وإن بلدًا هذا شأنه يكون أقرب إلى التحضر، وإلى مزاوله أعمال الحياة الحضرية. وهذا مما يجعل الأكثرين، والذين لا يزالون يمارسون حياة البداوة ينظرون إلى تلك القبيلة نظرة استهانة.

ثم يستخلص أن القبيلة كلما كانت حياتها أقرب إلى التحضر، إما لخصوبة أرضها، أو لكثرة المعادن فيها، أو لغير ذلك من الأسباب، فإنها لا تجد غضاضة في ممارسة الصناعة، كما في بني سليم وباهلة، وقبائل ربعة الذين استوطنوا اليمامة<sup>(٢)</sup>.

ويذكر ابن حوقل المتوفى عام ٣٨٠هـ، في كتابة صورة الأرض: أن اليمامة كانت قراراً لرببعة ومضر، فلما نزل بنو الأخيضر جلت العرب منها إلى جزيرة مصر فسكنوا بين النيل وبحر القلزم، «البحر الأحمر اليوم»، وهم أهل معدن

(١) راجع هذا الكتاب تحقيق الأكويع نشر دار اليمامة بالرياض ص ٢٩٠ - ٣٠٠.

(٢) انظر مجلة العرب ج ٢٩ ص ٨٠٨ - ٨٠٩ ضمن مقال المعادن القديمة في بلاد العرب للشيخ

حمد الجاسر.

الذهب، وإقامتهم عليه في أمور سآتي على ذكرها في أماكنها وليس بالحجاز، بعد مكة والمدينة أكبر من اليمامة<sup>(١)</sup>.

وقد كثرت كلمة القين، التي تعني الحداد، لأن كل عامل بالحديد عند العرب فهو قين حتى عرفت بها قبائل ذكرها ابن الكلبي في جهمته وعد منها الشيخ حمد الجاسر خمس قبائل<sup>(٢)</sup> مما ينبىء عن اهتمام بالصناعة وعناية بها رغم ازدياد العرب لهذه المهنة.

وقد فصل الهمداني في كتابه الجوهرتين المعادن وأماكنها وطريقة استدلال العرب عليها، وأسماء مواضع هذه المعادن، والأدوات المستعملة في التعدين<sup>(٣)</sup> حيث امتدت جذور هذه الصناعة في حواضر منطقة نجد فشملت الفترة التي نتحدث عنها ثم تواصلت إلى وقتنا الحاضر بين مد وجزر، حيث انحصرت الصناعات المختلفة، لدى الحاضرة أما أبناء البادية فكانوا ينظرون إليها على أنها مهنة رديئة ومزرية، بمن يقوم بها.

بل إن المقاييس نحو أنواع الصناعات، اختلفت من حاضرة إلى حاضرة، فمنهم من رأى أن الصناعات الضرورية في حياة الناس لا بأس بها كالخرازة والحلاقة، وغيرهما، بينما يرى البعض الآخر استعابة هذه الأنواع من المهن، ولا غضاضة في غيرها كالنجارة والحدادة.

والعرب المتنقلون يستهجنون صناعة الحديد المرتبط بالكير، ولذا يسمون من يعمل ذلك قيناً، قال الزبيدي المتوفي عام ١٢٠٥هـ في تاج العروس: القين الحداد، يذهب به إلى معنى العبد لأنه في العمل والصناعة بمعنى العبد والصناعة بمعنى العبد، قال الازهري رحمه الله تعالى: كل عامل بالحديد قين عند العرب، وفي حديث خباب رضي الله عنه: كنت قيناً بالجاهلية. وقال ابن السكيت: قلت لعمارة: إن بعض الرواة زعم أن كل عامل بالحديد قين، فقال: كذب، إنما القين الذي يعمل بالحديد. ويعمل بالكير ولا يقال للصائغ قين، ولا للنجار قين، وقال السكري: كل صانع يعالج بنفسه فهو قين، إلا الكاتب

(١) انظر كتابة صورة الأرض ص ٣٨.

(٢) انظر مقدمة الجوهرتين للهمداني ص ١٢ تحقيق ونشر الشيخ حمد الجاسر.

(٣) نفس المصدر وللاستدال انظر الفهرس ٤٥ - ٤٥٤.



والعرب تسمى بني اسد القيون، لأنهم أول من عمل عمل الحديد بالبادية<sup>(١)</sup> وقد اهتم كثير من الباحثين العرب القدامى كالهمداني والبكري وابن حوقل، وياقوت الحموي والأصفهاني بجوانب عن الصناعات والمعادن في جزيرة العرب، التي تشمل نجداً برمتها، وبقية أجزاء الجزيرة كما ذكر الشيخ حمد الجاسر أن الهمداني المتوفى عام ٣٤٥هـ، قد ألف كتاباً سماه: الجوهرتين، العتيقتين المائعتين الصفراء والبيضاء، وهو يعني بذلك الذهب والفضة، وقد طبع مؤخراً، قام بإعداده ونشره هو عن دار اليمامة بالرياض في طبعته الأولى سنة ١٤٠٨هـ.

وهذا الكتاب الذي خرج مع فهارسه في ٤٩٣ صفحة، يبحث في كل ما يتعلق بهاتين الجوهرتين. من حيث التعدين، ومعالجة صنعتهما بوجوه متعددة، وفي استعراض أبواب ذلك الكتاب يتضح الاهتمام بالصناعة علمياً، ودراسة ذلك بمنهج يتماثل مع التنظيم العلمي لقانون الصناعة في العصر الحاضر، كما حرص الشيخ حمد على توضيح أماكن تلك المسميات القديمة حسب واقعها الحاضر<sup>(٢)</sup>.

كما اهتم المستشرقون بهذا الجانب، فمثلاً هذا المستشرق الألماني ترنهارد مورتيس المتوفى عام ١٩٣٩م قد ألف رسالة سماها: المعادن في البلاد العربية القديمة، وقد ترجمها الدكتور أمين رويحه، ونشرها في مجلة العرب، وعلق عليها الشيخ حمد الجاسر<sup>(٣)</sup>.

وقد دفعت هذه الرسالة علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر إلى اعطاء مقالات ضافية عن المعادن في جزيرة العرب بعد ذلك، وقد جاء في ما ذكره أن مواقع الذهب القديمة تبلغ ١٦٥ موقعاً، ذكر أسماؤها. وحدد مواقعها بخط الطول والعرض.

ومثل ذلك مواقع الفضة التي تبلغ ١٢ موقعاً، ورواسب الكروم وهي واحد<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر تاج العروس ٩ : ٣١٦.

(٢) انظر مجلة العرب ج ٢٩ : ٧٩٩ - ٨٠٢.

(٣) انظر ج ٧ م ٢ : ٥٨٠ - ٥٩٢.

(٤) انظر مجلة العرب ج ٢٩ : ٨١٢ - ٨٢٣.

ثم تحدث عن بعض المعادن المعروفة قديماً، بذكر أسمائها ومواقعها، وتقريبها للناس في العصر الحاضر، وذكر قرابة ٧٠ معدناً، أغلبها في نجد<sup>(١)</sup>

كما وجدت بعض آثار تدل على طحن التربة، لاستخراج الذهب أو الفضة، واهتمام العرب بهذه الصناعة الحيوية في حياة الشعوب، كالرحى لتي صورت في كتاب توتشيل، الذي جاء على رأس شركة مساهمة تألفت في المملكة عام ١٩٣٤م الموافق لعام ١٣٥٣هـ، للبحث عن المعادن في وسط الجزيرة العربية باسم: نقابة التعدين العربية السعودية<sup>(٢)</sup>.

والعرب يستدلون على المعادن بعلاماتها الظاهرة، كبروز بعضها، واضحة للعيان في الأحجار، وقد اكتسبوا لطول المعاناة معرفة بمواقع الذهب والفضة، في الأحجار التي تكثر فيها، وكانوا يتخذون من وجود أحجار المرو، وخاصة عندما تكون عروفاً ممتدة في الأرض، أو في الجبال، علامة لوجود المعدن، وكانوا يتتبعون تلك العروق بالحفر عنها، وتكسيورها، واستعمال الوسائل التي يعرفونها، لإستخلاص الذهب أو الفضة<sup>(٣)</sup>.

وقد حاول رشدي ملحس المتوفى منذ خمسة عشر عاماً، تجميع معلومات عن المعادن في بلاد العرب، في بداية المعجم الذي استهله بالحجاز ونجد، حيث تحدث عنه، وعن فكرته في جريدة أم القرى التي كان يعمل بها<sup>(٤)</sup>.

وقد ذكر الشيخ حمد الجاسر في مقدمته لكتاب الجوهريتين للهمداني اطلاعه على هذه الرسالة، وأنه جمع ما فيها من معلومات عن الكتب المعتبرة القديمة، إلا أنه جمع مع عدم استيعابه حصل به كثير من الخلط بسبب إطلاق الاسم الواحد على عدة مواضع مختلفة في البلاد<sup>(٥)</sup>.

ولاشك أن تلك المناجم والمعادن، نتج عنها صناعات مختلفة في مجالات

(١) انظر المصدر السابق ٨٢٣ - ٨٤٦. وانظر أيضاً مقالتي في مجلة العرب عن المعادن القديمة

في بلاد العرب ج ٢١٠ ٩٠٧ - ٩٢٦، وج ٢١١ : ٩٧٨ - ١٠٠٢.

(٢) انظر مجلة العرب ج ٢١٠ : ٩٢٢ - ٩٢٥.

(٣) انظر مجلة العرب ج ٢٠٩ : ٨١١.

(٤) راجع جريدة أم القرى العدد ٣١٣ يوم الجمعة ١٥/٧ سنة ١٣٤٩هـ، وهي الجريدة الرسمية للدولة وكانت تصدر بأم القرى مكة المكرمة.

(٥) راجع الجوهريتين ص ٨.

الحياة، فيما يتعلق بها كمواد خام، وفيما تحرك من صناعات أخرى عرفت في المنطقة، واحتاج إليها السكان.

ولقد كانت منطقة الوشم، الذي كانت حاضرتة، حتى قيام الدولة السعودية الأولى بلدة ثرمداء، التي يذكرها علقمة الفحل في قصيدة له بقوله:

وما أنت أم ماذكرها ربعية يخط لها من ثرمداء قلب

نقول: إن ثرمداء بصفة خاصة، والوشم بصفة عامة، قد اشتهرت بنسج البرد، وهي جمع بُرد: نوع من الأكسية الجيدة، إذ بلغت تلك الصناعة شأواً كبيراً، تعدى حدود الإنتاج المحلي، إلى الشهرة والتصدير، جودة وكثرة، إلى البلدان الأخرى.

وقد ذكر هذه الشهرة ياقوت الحموي المتوفى عام ٦٢٦هـ في كتابة معجم البلدان في قصة حميد بن ثور الهلالي، الذي كان ابنه، يراه يذهب إلى الولاة والأمراء، فيعود منهم مكسواً، وأراد هذا الابن أن ينتهج خط أبيه، فأخذ بغيراً لأبيه، وقصد مروان بن الحكم، لكنه خيب أمله، ورده بدون عطاء، وعندما رآه أبوه، على تلك الحال قال:

ردك مروان لا تفسخ إمارته ففبك راع لها ما عشت سرسور  
مابال برديك لم تمسح حواشيه من ثرمداء ولا صنعاء تحبير  
ولو درى أن ما جاهرني ظهرا ماعدت مالألت أذناها النور<sup>(١)</sup>

وقد علّق مقبل الذكر رحمه الله، في مخطوطته التاريخية، على ما نسب به البرود إلى ثرمداء، كما جاءت في أبيات ابن ثور هذه. . بقوله: أما ما وصف الهلالي من نسبة البرود إلى ثرمداء، فهذا مما لاشك فيه، فقد كان يعمل ذلك، إلى مدة ليست بعيدة. . وقد كان الوشم مشهوراً بالنسيج من الخامات، والصوف وغيرها إلى مدة لا تبعد أكثر من مائتي سنة، وقد أخذ يضعف هذا العمل، حتى تلاشى قبل مائة سنة، حتى فقد تماماً<sup>(٢)</sup>

(١) انظر معجم البلدان لياقوت الحموي ٢ : ٧٦.

(٢) راجع مخطوطة من تاريخ نجد ورقة ١٧٠.

ومقبل هذا توفي في حدود عام ١٣٦٠هـ، وأتوقع أنه كتب تاريخه ما بين عام ١٣٤٥ - وعام ١٣٥٥هـ<sup>(١)</sup> وعلى هذا فإن ثرمداء لا تكون فقدت هذه المكانة، إلا بعد قيام الدولة السعودية الأولى، التي نشطت فيها الصناعات في اماكن وحواضر أخرى، حيث وجد الصناعات والعمال مجالاً أرحب للعمل في الدرعية وغيرها فاتجهوا إليها، وهذه طبيعة في البشر الهجرة من أجل العمل. من ذلك نستنتج أن نجداً كانت بصناعاتها، تحاول محاكاة غيرها، بالإكتفاء محلياً فيما يستعمله السكان، أو يحتاج لإصلاح، نظراً لتوفر دواعي الصناعة من جهة، ولبعدها عن حواضر العالم الإسلامي، ومشقة المواصلات من جهة أخرى.

وأن ما تم من ازدهار صناعي وتجاري واقتصادي، واتساع علمي في أيام الدولة السعودية، ماهو إلا امتداد لأشياء كانت موجودة، ولكن يعوق إتساعها عامل الأمن الذي حققته الدعوة السلفية الاصلاحية بزعامة الإماميين محمد بن سعود، ومحمد بن عبد الوهاب، رحمهما الله منذ عام ١١٥٨هـ انطلاقة من الدرعية.

وفي الصناعات الجلدية، نجد جذوراً تدل على استعمالها في تلك العصور بأعمال كثيرة ومجالات واسعة في حياة الناس، فعلاوة على أن الجلود والأصواف يصنع منها أشياء كثيرة كالملابس، وفرش الأطفال وأحذية وأرائك للكبار، وأمور عديدة للرحل وللدواب، وحفظ الأطعمة والأشربة، فإنها أيضاً يصنع منها يدوياً وبإتقان محكم، وبراعة في الصناعة، أشياء أخرى لتكون أوان كبيرة الحجم، محكمة الغطاء لتحفظ المنتوجات الكثيرة، التي يخشى عليها من الكساد أو الفساد وتخزينها مدة أطول كالسمن والتمر وتسمى جراراً، ذلك أن الجلود، حسب التجربة عندهم، أثبتت قدرة على حفظ الطعام بجودة ولمدة أطول. والإنسان ابن بيئته، والنجاح وليد التجربة.

والصناعات الجلدية أوجبت أن يسبقها أعمال أخرى كالدباغة وتوفير المدابغ، وجز الوبر والصوف وتنظيفه ثم غسلها ونسجها، وغير ذلك.

(١) انظر مجلة الدارة العدد ٣ السنة ٤ شوال ١٣٩٨هـ مقالنا عن مقبل الذكر وتاريخه ص ٧٩ -

وجميع المنتجات المحلية، سواء من البادية أو الحاضرة، تدخل في صناعات عديدة تحتاجها حياة الناس اليومية، سواء كانت تلك الصناعات حديدية خامها من المعادن المتوفرة. أو نسيجاً من الصوف والوبر والكتان، أو علاجاً من النباتات التي تختلف باختلاف فصول السنة، أو تركيباً كيمياوياً من الأحجار والصخور المتوفرة في بعض المناطق وخاصة الكحل بأنواعه، أو ما يتفرع من منتجات أشجار النخيل التي تكثر في نجد، وغالباً ماتكون النساء هن اللواتي يقمن بالصناعات الخوصية، والغزلية من الصوف والوبر، أو النسيج لبيوت الشعر والفرش، لأن ذلك من الأعمال اليدوية التي تتسلى بها النساء في مجالسهن، ويتحصلن من ورائها على مورد مالي.

وغير ذلك مما يمكن إدراكه بتتبع المواد ومشتقاتها، وعلاقة الناس بها.

إن موضوع الصناعة، والتعدين المرتبط بالصناعة في نجد، موضوع طويل ومتشعب لا تتسع له عجالة كهذه، ولقد أشار الشيخ حمد الجاسر، وإن كان لم يتوسع كثيراً أيضاً، في مجلة العرب بأربعة أعداد، إلا أنه أعطى زبدة الموضوع في مائة صفحة طرح خلالها شيئاً كثيراً مما رصد في الكتب المهمة بهذا الموضوع، واستخلص منها ما يتعلق بمنطقة وسط الجزيرة العربية. وهي موضوعنا هذا، ومع هذا فإنه يرى - أن الموضوع لا يزال محتاجاً إلى المزيد من البحث والتجميع كما أشار إلى أن أستاذاً تونسياً قد جعل رسالته العلمية من جامعة بون بألمانيا في هذه الموضوع حيث جمع حصيلة كبيرة عن التعدين والصناعة في وسط الجزيرة العربية، في القرون الوسطى وسماه: المناجم في القرون الوسطى، وأماكن وجودها بالبلاد العربية، نال بها الدكتوراة وتقع في ١٣٥ صفحة بالحرف الدقيق، فيها معلومات مفيدة عن المعادن في منطقة نجد<sup>(١)</sup> ونوه أيضاً عن الموضوع وعمّن الف عن معادن العرب، والتعدين في البيئة العربية، ووسائل الاستدلال على الذهب والفضة وغيرهما ضمن مقدمته لكتاب الجوهريتين للهمداني الذي اعده للنشر وأوضح بعض غوامضه<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر مجلة العرب ج ٢٩: ٨٠٥ - ٨٠٦، ووصف هذه الرسالة في مجلة العرب السنة الأولى ص ٦٦٢ - ٦٦٧.

(٢) راجع مقدمة الجوهريتين ص ٣ - ٢٦.

## أهمية الصناعة وصناعاتها

تعتبر الحروب بالنسبة للعرب، جزء مهماً في حياتهم، ففي العصر الجاهلي كان بعضهم يغير على بعض، ويتقاتلون لأتفه الأسباب، وكان القوي يتسلط على الضعيف، إذ كان قوام حياتهم يركز على القوة الشخصية بالشجاعة والفروسية، وعلى قوة ومهارة الدابة المركوبة لذلك الغرض، وهي الخيول، لسرعة حركتها، وقدرتهم على التحكم في انحرافها بعد التدريب، والتفوق في الموقف بمهارة، ومضائة السلاح الذي يرهب العدو، ويخيفه، ومن ثم يقضي عليه، ومن هنا كان الموقف يستلزم إيلاء هذا الأمر عناية خاصة، واهتماماً كبيراً، وكان مفهوم العرب للآية الكريمة: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ، وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ، إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾<sup>(١)</sup>، القوة القتالية، والقوة الصناعية لما ينتج من الحديد من أسلحة وأدوات وغيرها. تلك الصناعة التي فهمها الله لنبيه داود وآلان الله له الحديد، والمتتبع لأيام العرب وحروبهم، وأشعارهم واهتماماتهم يدرك هذا، وبإمكانه أن يسجل فيه كتباً، بل أن يرصد كتباً في كل فن: فالخيل قد رصد فيها عدة كتب، وكذا السيوف وأسمائها وصانعوها، وإغارات بعضهم على بعض، كل هذا قد امتلأت به المكتبة العربية.

ثم جاء الإسلام، ونظم ذلك العمل إلى جهاد في سبيل الله، وكسب أجر عند الله لمن مات في ساحة الوغى، والعز والتمكين في الدنيا لمن بقي على قيد الحياة، كل هذا من أجل نشر دين الله، وإعلاء كلمته جل وعلا، وتبليغ شرعه لأمم الأرض.

فتنمت تلك المواهب، وازدادت النفوس اهتماماً بالحرب، وتمرساً عليها، لأن في ذلك رضا لله، وطاعة لرسوله، ورغبة في صناعة الأسلحة التي هي الوسيلة

(١) سورة الحديد آية ٢٥.

لإرهاب أعداء الله، وكسب المعركة ضدّهم امتثالاً لقول الله سبحانه: ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

ونجد التي سبق أهلها إلى الإسلام، ثم تسابقوا للجهاد في سبيل الله أفواجاً في الجيوش الإسلامية المتجهة شمالاً، ثم شرقاً وغرباً لنشر راية الإسلام خفاقة في الآفاق، جنوداً مخلصين ومحاربين مستبسلين، لم يغرب عن بالهم، الاهتمام بصناعة الأسلحة والحرص على التنقيب عن معادن الحديد في بلادهم، ثم ساهموا بالخبرة في البلاد التي سكنوها بقبائلهم بعد الفتوحات الإسلامية ومن هنا جاء الذكر لبعض المعادن الحديدية، التي تصنع منها السيوف، وأسنة الرماح والدروع والتروس وحوافر الخيل، ومن تلك المعادن كتب كل من ألف عن جغرافيا بلاد العرب، وتاريخها، والكتابون في هذا كثيرون، وفي شعر رميزان اشارات للفروسية وأنواع من الأسلحة وهذا نموذج لما كان سائداً في حياة الناس ذلك الوقت من اهتمام بالسلاح صناعة واقتناء.

ومجلة العرب أوفى من اعطى الموضوع حقه بالاهتمام بالجزيرة العربية عموماً. ومن ذلك بحث الشيخ حمد الجاسر عن المعادن القديمة في جزيرة العرب، وتحديد المناجم فيها. وقد عقب على الاستاذ: مورتس المستشرق الألماني المتوفى في عام ١٩٣٩م. الذي حدد مناطق الذهب في جزيرة العرب بتهامة، عقب الشيخ حمد بالاضافة التالية: ونضيف إلى قوله إن الذهب والفضة يوجدان في وسط البلاد في الأرض الواقعة بين أطراف القصيم الجنوبية، ممتدة حتى اقصى جنوب الجزيرة، وهي من الناحية الشرقية لا تتجاوز إقليم السر، أما من الناحية الغربية فتصل إلى سفوح جبال الحجاز، حيث تختلط بالمنطقة التي أشار إليها الاستاذ مورتس، ثم يعزز هذا، بضرورة القاء نظرة على المصور الجغرافي للمعادن ليتبين صواب القول<sup>(٢)</sup>.

ولئن كان الاصفهاني في كتابه بلاد العرب قد ذكر ٣٠ معدناً، فإن ياقوت الحموي، والبكري قد ذكرا تلك المعادن إن لم يزيدا، في كتابيهما معجم

(١) سورة الانفال آية ٦٠.

(٢) راجع مجلة العرب ج ٩ ص ٢٩٨.

البلدان، ومعجم ما استعجم، ويخص نجداً من هذه المواقع والمعادن نصيب الاسد.

وإن اطلاق القين على قبائل عديدة من العرب مثل : باهلة، وقبيلة من بلي، وقبيلة من سليم، وقبيلة من قضاة، وقبيلة من قيس عيلان<sup>(١)</sup>، لما يدل على اشتغالهم بالحدادة واصطلاهم بالنيران التي تصهر الحديد لأن القين حسب التعريف اللغوي هو الحداد ولا يصطلى بالنار غالباً في الصناعات، إلا من يشتغل بصناعة الأسلحة، التي تحتاج إلى صهر جيد، وضرب مكين لتزداد جودة ومتانة، سواء كانت سيوفاً أو رؤس رماح أو غيرها. . لأن السلاح هو انفق سوق. وادرج بضاعة.

وعندما نعود لكتب اللغة، فإننا نرى اقتراناً بين بعض الأسلحة ومسمياتها، وبين الأماكن التي صنعت فيها.

ففي بلاد العرب كانت نجد واليمن. موضعان مشهوران بصناعة الأسلحة. فالسيوف الحنيفة يرجح أنها منسوبة إلى قبيلة بني حنيفة التي كانت منازلها منطقة الرياض وما حولها، وقاعدتها حجر اليمامة. الذي تحتله الرياض حالياً.

ولاشك أن الرياض لعراقتها، وكثافة سكانها، ووفرة مياهها منذ العصر الجاهلي، وحتى اليوم تعتبر ذات عراقة في التصنيع الحربي، حيث يرى ابن منظور أن نجداً والحجاز تصدران الرماح والأسنة التي كانت تصنع في حجر، قاعدة اليمامة، وابن منظور هو صاحب لسان العرب المتوفى عام ٧١١هـ، ويؤكد ذلك الدكتور عبدالله السيف في كتابه: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز، في العصر الاموي، حيث يرى ان حجر اليمامة كانت مشهورة بجودة رماحها<sup>(٢)</sup> وقد تبع ذلك، اهتمام بأنواع عدة الحرب، التي أمر الله المسلمين الأخذ بها لإرهاب العدو، وذلك بأن صار لديهم خبرة بأنواع الأخشاب المتوفرة في البيئة، ذات الصلابة والقوة لتكون اعواداً للرماح التي هي من عدة الحرب، حيث عرفت تلك الرماح بأسماء عديدة كالمثقب والمعرق. الذي أخذ من عرق

(١) راجع لسان العرب لابن منظور ٥ : ٢٤١ - ٢٤٣، وانظر الحياة الاقتصادية في نجد والحجاز



الشجرة - والحادر - وهو الغليظ - الحوادر من كعوب الرماح الغلاظ المستديرة، وغير هذا كثير من أسماء وصفات الرماح والشجر الذي تؤخذ منه الرديني، حيث امتلات كتب اللغة بذلك<sup>(١)</sup> كما امتلأ الشعر العامي في نجد بما يرسخ هذا المفهوم والاشادة بالقتال وصلابة الاسلحة والشعر هو صحيفتهم الناقلة لانعكسات حياتهم.

ولم تكن حدائد حجر اليمامة مقدمة في الجودة عند العرب<sup>(٢)</sup> إلا لأن الحديد يعني عندهم قوة السلاح الذي يصنع منه سيوفاً أو رماحاً أو دروعاً أو مجاناً «جمع مجنّ وهو الترس».

ثم لما اتصل العرب بعد اسلامهم ببلاد الدنيا، وعرفوا من أنواع أخشابها ونباتاتها ما يفيدهم في صناعاتهم، كان من أول ما جلبوه لديار العرب، من عدة الحرب، عروق الخيزران. لتكون عيدان الرماح بعد تركيب وتصنيع أسنة لها، لطرأوته ومرونته.

وقد ذكر ناصر خسرو في رحلته التي مرّ فيها بالأفلاج واليمامة عام ٤٤٤هـ أن المدينة والسوق حيث يتوفر صنّاع من كل نوع يقعان خارج الحصن الكبير القديم، في حاضرة اليمامة وهي حجر<sup>(٣)</sup> مما يؤكد استمرار الناس في حرفة الصناعة منذ الجاهلية. ثم امتدادها لما بعد زمن خسرو الذي كان هو الوحيد الذي وصل اليها رصده عن المنطقة ذلك الوقت، كما ذكر أن أهل الأفلاج - فلج - رغم جوعهم وجهلهم. فإن السلاح يلزمهم، إذ يلتزمون حمل الترس والسيف - إذا ذهبوا للصلاة<sup>(٤)</sup>، وقوم هذه اهتماماتهم، رغم انعزالهم عمن حولهم، فلا بد أن تكون صناعتهم للأسلحة تتم محلياً وبكثرة ومهارة.

ولاشك أن حجر اليمامة - الرياض - كانت موطن صناعة للأسلحة، ومركز قوة، لأنها أقدم واكبر حاضرة في نجد منذ العصر الجاهلي حتى الآن. إذ مقومات الصناعة، وفي مقدمتها صناعة الأسلحة متوفرة فيها: من حيث وفرة

(١) انظر لسان العرب لابن منظور ٥ : ٢٤٣.

(٢) نفس المصدر ص ٢٤٢.

(٣) انظر كتابه سفرنامه ص ١٤١.

(٤) نفس المصدر ص ١٤٠.

المياه، وسعة الأرض، وخصوبة التربة، وكثرة القرى، مما جذب إليها السكان، الذي بتجمعهم وتكاثرهم تنشأ الحرف المختلفة، وفي مقدمتها الصناعة الرائجة، والمربحة وهي صناعة الأسلحة وتنويعها. . نظراً لإهتمام الناس بذلك، وجودة حديد المنطقة ولكن نظراً لقلة مارصد وسجل من معلومات تاريخية، فإن التنف الصغيرة التي نجدها لأشخاص مروا بالمنطقة كناصر خسرو مثلاً، أو بما حفظ من اشعار قليلة عربية وعامية، خلال الفترة الزمنية التي نتحدث عنها، لأن الشعر هو سجل القوم، والناقل لما يعتمل في مجتمعهم، والمعبر عما في خلجات صدورهم. يعطي مؤشراً عن أهم ما في حياة الناس في تلك العصور وهو المحافظة على الأنفس والمال، بحياسة السلاح الذي يصنع محلياً بأنواع مختلفة، لأننا لا نعدم في تلك اللمحات إشارات إلى ركائز ذات عمق في الصناعة والتصنيع، ذلك أن الوضع الاجتماعي والإقتال المستمر بين الأفراد والقرى المتجاورة، والمعارك الدائبة بين القبائل مع بعضها من جهة، وبين الحاضرة والبادية حيث نجد هذه الأخبار هي التي تشغل الحيز الأكبر من جميع الكتب التاريخية التي رصدت أحداث الفترة تلك الحقب الزمنية.

ونجد نادرة من مؤلف مجهول، هو صاحب كتاب لمع الشهاب في سيرة محمد ابن عبد الوهاب، الذي طبعته دار الملك عبدالعزيز بالرياض عام ١٣٩٤هـ، وهذا المؤلف فيما يظهر من كلامه من خصوم دعوة الشيخ محمد السلفية، ولكن هذا لم يمنعه من أن يقول الحق في أكثر من موطن، لينقل مارآه بنفسه، وهو وإن كان يتحدث عن فترة زمنية ليست موضع حديثنا هذا، ولكن كما قلنا في ندرة المصادر، جعلتنا نستنتج من كلامه هذا: أن صناعة الأسلحة والاهتمام بها كانت ذات جذور عميقة في البلاد، حيث تطورت في فترة قيام الدولة السعودية الأولى واعتمد عليها أهل نجد - بعد الله - في توسيع دائرة الدولة، وامتدادها إلى أطراف الجزيرة ونواحيها المختلفة.

يقول صاحب اللمع: والبارود يصنع عندهم - يعني أهل نجد - شيئاً كثيراً وبارودهم أطيب بارود فلا يحتاج أهل نجد إلى جلب البارود من ملك آخر، ولكن بعد أن تعلموه صارت الحالة هذا الزمان، بأن يذهب من نجد إلى بقية جزيرة العرب لأنه أطيب بارود<sup>(١)</sup> وهذا يدل على أن الإنتاج من البارود، الذي

(١) انظر لمع الشهاب ص ١٩٠.

كان يستخرج من بعض الاحجار والملح ليدق بإحكام ومقادير معينة ومهارة فائقة، قد تجاوز الإنتاج المحلي إلى التصدير، وتجاوز ايضاً فترة التجربة والبدائية إلى الشهرة والجودة . . وهذه الأمور تحتاج إلى فترة زمنية، حتى يثبت الإنتاج المحلي قدرته وكفاءته وكثرتة، وهذا ما دعانا للحكم بأن هذا الفرع جزء من الأصل المكين.

ويقول في موضع آخر: وأيضاً من جملة أحوالهم يستعمل التفق والبندوق - البندقية - لكن صفة تفقهم أنه غير ذي خزنة، وأن اخشابه كأخشاب تفق الرويائي، على هذا الأسلوب والطرز، وله فتيلة. وهذا يصنع في نجد، وكان قبل ذلك يصنع تفق أدنى من ذلك في نجد، وأخشابه متينة، وطرحه غير حسن، وله خزنة، وكان قليل الوجود في نجد، لكن لما استمر أمقائدهم، استخرج بعقله وخياله هذا التفق<sup>(١)</sup>، وعلم الناس صنعه وخواصه، فرغب الناس باستعماله وحمله، فشاع في جميع بلدان نجد، حتى أنه اليوم جلب إلى اليمن، وإلى أطراف بلاد جهينة، وكثير من أرض الحجاز، بل أكثر بلاد الحجاز، بدأ بحمله وصار له شأن عظيم فيما بين الحضرة والبدواة، وهو لطيف الصنعة، سريع الرمي، قليل الخطأ بعيد الرمية، خفيف الحمل، متوسط بين الإفراط «الطول» والتفريط «القصر» أي وسط يبلغ قيمة العالي منه عشرة آريل، والدانى ستة أو خمسة، والوسط السائر ثمانية آريل، واليوم ما بقى أحد من الناس، حمالة السلاح، حتى الفرسان، إلا وحمل له تفق، واستعمله كذلك، لأنهم يقولون: جربنا فعل التفق. فوجدناه نعم الناصر والدافع، وأعلم أن رمي التفق اليوم صار شعار أهل نجد، فيما بين كافة العرب، وربما عرفوا صنعه، فيصنع عندهم في بلادهم، لكن صناعته في نجد أكثر، وهذا شأنهم كل يوم أو يومين من ليس في الحرب أو الغزو، يجعلون لهم خارج البيوت موضعاً فيرمونه، ويمرّنون صبيانهم عليه، فعند أهل نجد مهما بلغ الطفل الذكر خمسة عشر سنة امرّوه بضرب التفق. وممرّونه عليه جزمًا<sup>(٢)</sup>.

(١) التفق نوع من القذائف يشبه رصاص البنادق والرشاشات ولكنه اكبر منه حجماً، وأصغر من قذائف المدافع - والتفق ايضاً نوع من الاسلحة المحمولة على الكتف واثقل من البندقية.

(٢) انظر لمع الشهاب ص ١٨٩.

وإذا أردنا استنتاج الحالة بين فترتين رصدنا: الأولى وهي ما سجله الكتاتون في القرون السنة الأولى من الهجرة النبوية، والثانية وهي ما بعد قيام الدولة السعودية الأولى في الدرعية ١١٥٨ - ١٢٣٣ هـ فإننا نجد اهتماماً كبيراً ومتزايداً بالأسلحة وصناعاتها وتطويرها، مع القدرة على التكيف صناعياً حسب أحدث المبتكرات في هذا الفن، تبعاً لما هو مألوف ومعروف لدى الأمم المجاورة إن لم يفقها.

ففي الحالة الأولى كان سلاح الحرب، وعدته في صناعة الحديد، فاهتموا بالبحث عن مصادره، وعرفت أماكن استخراجها ومناجمه، ثم استفادوا من ذلك، وأوقفت قبائل كاملة جهودها على تصنيعه سلاحاً، وتحملوا في هذا السبيل الألقاب المنفرة، واستهجان العرب لهم على امتهان هذه الصنعة.

ثم في الحالة الثانية، نراهم يتحولون إلى مخترعين وصناع ثم مصدرين لأنواع جديدة وجيدة من السلاح كالبارود الذي كانوا ينتجون من المواد الأولية، مخلوطة كيميائياً بالملح المتوفر بكميات كبيرة في نجد، في مناطق لازالت معروفة به كالقصب في الوشم والشقة في القصيم ثم بصناعة الرصاص والبنادق، على الوضع الذي مَرَّبنا وصفه لدى المؤلف المجهول عن نجد، إبان الدولة السعودية الأولى.

ولقد سمعت من كلام كبار السن: تداولاً بأن قذائف البنادق المعروفة باسم التفق، الذي توجد في أشعارهم العامية، ما يدل على أهميته، مثل البيت الذي يتناقله الناس كإبراعن كابر، ويرمز لتشجيع الأمهات صبيانهن على حمل السلاح في وقت مبكر، والتمرن على الفروسية، وهومن عدة أبيات مماثلة:-

تَملُونِي بالتفق وأنا صَغِيرٌ مَملُونِي بالرصاص المدرجاني

وأن تلك القذائف كانت تصنع من البارود والفضة، بدل البارود والرصاص، وذلك لتوفر مناجم الفضة، وقلة مناجم الرصاص، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فلأنهم يرون أن الفضة أمكن في الهدف الحربي، لأن الرصاص يبرد، فلا يحقق الغرض المقصود، وهو أثقل من الفضة فلا تكون رميته بعيدة

المدى، وهذا لم يأت إلا نتيجة تجارب ومفاضلة . . ضمن مرحلة زمنية تنبىء عن استمرارية الصناعة، والتمرس فيها.

ولابد أن الفترة التي بين الحالتين، والتي لم يرصد عنها شيء. كانت ذات استمرار كبير في مجال صناعة الأسلحة، والاهتمام بكل جديد فيها، مادة وتجديداً، وسوف يتكشف إن شاء الله، أمام الباحثين. معلومات تزيد الحصيلة، ويبقى المجال واسعاً ومفتوحاً لكل إضافة، مما يفتح صفحات جديدة في تاريخ بلادنا الذي نتصيده من مصادر متعددة وشحيحة.

## الزراعة والحجارة

لئن كانت الحياة في نجد تلك الفترة، حياة قلق وخوف، لأن الحياة السياسية للبلاد غير مستقرة، والأمن غير مستتب أيضاً بالمفهوم العام، إلا أن هناك ومضات في الأمن الداخلي والهدوء النسبي، يتمثل في ترابط الناس الاجتماعي، والأسرى والقبلى . . فأعراف الناس وطباعهم، ورغبتهم في تنظيم المجتمع، كل هذا يحتم عليهم أن يوجدوا زعامة ينقادون لأمرها، ولذا كان لكل مدينة أو قرية رئيس يمثل الحاكم في نفوذه وانقياد الناس له سلماً وحرباً، وفي كل قبيلة زعيم تنقاد لسلطوته وأوامره .

وفي الحواضر يلجئ الناس لفض المنازعات للقاضي الشرعي، لأن القضاة موجودون في أغلب البلاد، وأغلب أحكامهم وفتواهم في المنازعات الشخصية، وتحديد الأملاك وفتاوى الشيخ أحمد محمد المنقور [١٠٦٧ - ١١٢٥هـ] المطبوعة نموذج لذلك، وفي ما يتعلق بوصايا الناس وعقاراتهم يترأى أمام من يتاح له الاطلاع على ما في أيدي الناس، كيفية الاثبات والقناعة ذلك أن الحكام الشرعيين كانوا يعتمدون في أحكامهم - بعد الله - على ناحيتين: الحكم الشفهي بقناعة الناس بهم . ورضاهم بما يصدره القاضي . . أو التذييل أسفل ملكية ذلك العقار إن كانت لهم ملكية فيه، أو بإبداء وجهة نظر للقاضي بما ظهر له بعد سماع الخصومة، والاثبات الشرعي، بما يحل المشكلة محتومة منه، وتسلم للمستفيد من الخصمين، لتبقى عنده، ثم لمن بعده من عقبه حكماً ينهي نزاعاً، ويحدد عقاراً أو مجرى سيل . . ولا سجلات عند القاضي، بل لا مقر له ثابت غير بيته أو المسجد، فكانت المظاهر القضائية والعقارية والزراعية مرتبطة في أغلب أحوالها والاطلاع عليها يتعلق بمساعدة الأسر في الإبراز، والتعاون في التعريف والعرض بما لديهم من وثائق ووصايا . .

لكن لا يجب أن يغفل عن البال، أن جل تلك الوثائق ضاعت للأسباب التالية :-

- بعض الوثائق تقادم عليها العهد فتآكلت لأنها لم تجدد فأصبحت مفقودة أو في حكم المفقودة.
- بعض الوثائق أهملها أصحابها لتكاثر المستفيدين من العقار، ودخول مناسخات فيه، وبالتالي تعطلت منفعتها، وصعب تحديد المرتبطين به فعلاً.
- غياب بعض الأوصياء أو ورثتهم، وخروجهم من المكان الذي به العقار بسبب الشحناء أو الهجرة، أو الموت، حيث يحصل بالمنطقة نوازل كثيرة تبرز في أحداث كل من أرّخ للمنطقة.
- وضع اليد من بعض الورثة على عقار واستثماره، وإن ابراز الوثائق يفتح عليه أبواباً ممن لهم علاقة به قريبة أو بعيدة.
- تغير مسميات بعض العقارات، مما يصعب معه إدراك أن تلك الوثيقة، تنبئ عن عقار بعينه، وبالتالي تصبح تلك الوثيقة لا قيمة لها.
- انمحاء العقار السابق زمناً طويلاً، بأي عارض من العوارض التي تمر بالمنطقة كالجفاف والجذب أو كثرة الديون أو الشحناء، أو غير ذلك، فيأتي بعد أجيال من يحيي ملكاً مكانه فتضيع المعالم السابقة ليتجدد الأمر بعهد جديد وإحياء جديد مع مالك جديد، وباسم جديد أيضاً.
- وقد ينتج عن كثير من الأمور وفي مقدمتها الهجرة والشحناء، عدم اهتمام بالملك السابق، لأن ضرره أكثر من نفعه، أو الخراب والدمار بترك أهله الأوائل له ونسيانهم له.

ومن الجانب السياسي، فإن التنف التي ترمي بمن يستعرض النبد التاريخية المتوفرة، تنبئ عن أن البلاد بعد انتهاء حكم الأخيضريين، وهم علويون عام ٤٧٠هـ، قد تذبذبت التبعية السياسية فيها ما بين: الارتباط بما يوجد في الاحساء من إمارات، أو رغبة اشراف مكة ببسط نفوذهم على المنطقة. ولا ريب أن الدولة العثمانية تحرك اغلب ذلك من أجل اخضاع بادية نجد وتأديبهم، نظراً لما يفرضونه من أتاوات على الحجاج، أو اعتراض لقوافلهم كما ذكر الجزيري أنه في عام ٧٨٥هـ اعترض قريش ابن اخي زامل حاج شيزار والبصرة في الحساء، فأخذ ما معهم من اللؤلؤ وغيره، وقتل منهم خلقاً كثيراً، فرجع من بقي منهم ماشياً عارياً، وقدم بعضهم إلى مكة، صحبة حاج بغداد، وحجز قريش ركب العراق، وأخذ منهم عشرين ألف دينار عن كل جمل خمسة دنانير ثم مكنهم من التوجه<sup>(١)</sup>.

وفي مقتطفات حوادث السنين لدى كل من أرخ نماذج من ذلك، ثم من تعدي الحاضرة على بعضها، وتناول البادية على القوافل، وعلى المدن.. والأسر التي حكمت الاحساء هي:

١ - العيونيون من عام ٤٧٠هـ إلى عام ٦٣٠هـ، كما ذكر الشيخ حمد الجاسر في مقدمته لتحفة المستفيد<sup>(٢)</sup> لكن أبا عبدالرحمن بن عقيل يرى في كتابه أنساب الأسر الحاكمة في الأحساء القسم الأول، أن مدة حكمهم من عام ٤٤٦هـ إلى عام ٦٣٦هـ<sup>(٣)</sup> ويرى أنهم سيادة أسرة لاقبيلة.

٢ - آل عصفور يرى أبو عبد الرحمن بن عقيل في أنساب الأسر الحاكمة في الاحساء القسم الأول أن مدة حكمهم من عام ٦٣٦هـ إلى عام ٧٠٥هـ، أي من انتهاء حكم العيونيين حتى مجيء بني جروان<sup>(٤)</sup> لكن ابن عبدالقادر

(١) مجلة العرب ١ : ٦٠٢.

(٢) مجلة العرب ١ : ك. (٣) انظر ص ٧٢. (٤) السابق ص ١٩٢.



في تحفه المستفيد يرى أن بداية آل عصفور في العقد الرابع من القرن السابع ولم يحدد سنة بذاتها<sup>(١)</sup>.

٣ - سعيد بن مغامس من عام ٧٠٠ إلى ٧٠٥ هـ، ولم يقف صاحب تحفه المستفيد على مدة حكم آل عصفور، ولا ابن مغامس<sup>(٢)</sup>. لكن إبا عبد الرحمن بن عقيل قال بأن جروان انتزع الحكم من سعيد بن مغامس عام ٧٠٥ هـ، وهذا هو بداية بني جروان<sup>(٣)</sup>، لكن دوله المغامس قامت فيما بعد.

٤ - بنو جروان من عام ٧٠٥ هـ إلى عام ٨٨٠ هـ كما يراه أبو عبد الرحمن بن عقيل بداية لحكم أجود بن زامل على الأحساء في كتابه انساب الأسر الحاكمة في الأحساء القسم الأول<sup>(٤)</sup>.

٥ - ثم قامت دولة آل جبر من عام ٨٨٠ هـ إلى أن ضعف شأنهم وأخذها منهم راشد بن مغامس سنة ٩٣٣ هـ كما يظهر لابن عقيل<sup>(٥)</sup>. لكن ابن عبد القادر ينقل في تحفه المستفيد عن الجزيري الحنبلي في الفوائد المنظمة أن ولاية راشد بن مغامس على الشرق عام ٩٣١ هـ<sup>(٦)</sup>.

٦ - دولة آل مغامس تبدأ من انتهاء، دولة الجبريين عام ٩٣١ هـ<sup>(٧)</sup>، إلى تاريخ استيلاء الأتراك على الأحساء عام ٩٦٣ هـ، كما جاء في تحفه المستفيد<sup>(٨)</sup> والأسر الحاكمة في الأحساء<sup>(٩)</sup> لكن أبا عبد الرحمن يميل إلى أنه جاء، للجبريين عهد آخر استمر فيه حكمهم حتى عام ٩٩٩ هـ نقلاً عن ابن بشر والنبهاني وغيرهما<sup>(١٠)</sup>.

٧ - الدولة العثمانية من عام ٩٦٣ هـ وهذا بداية عهدهم، حتى تغلب عليهم بنو حميد عام ١٠٨١ هـ وصار العثمانيون يعودون كلما ضعف السلطان في المنطقة، فقد تغلب عليهم آل سعود بعد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

(١) ص ١١٩. (٢) ص ١١٩. (٣) الأسرة الحاكمة بالأحساء ١ : ١٩٢.

(٤) ص ٢٣١. (٥) ص ٢٣٨. (٦) ص ١٢١.

(٧) تحفه المستفيد ١ : ١٢١، ثم أوضح أبو عبد الرحمن في انساب الأسر الحاكمة بالأحساء القسم الأول ص ٢٠٤ استيلاءه على البصرة عام ٩٣١ هـ، أما توليه القطيف والأحساء فهو عام ٩٣٣ هـ.

(٨) ص ١٢١. (٩) ص ٢٤٠. (١٠) ص ٢٦٣.

ثم اجلاهم الملك عبدالعزيز رحمه الله في رحلته لتوحيد المملكة عام ١٣٣٣هـ، ولكن ابن بشر يرى أن بداية الأتراك عام ١٠٠٠هـ، حيث أنقرضت بذلك دولة آل اجود الجبري العامري وذويه<sup>(١)</sup>.

٨ - آل حميد من عام ١٠٨١هـ حتى تغلب آل سعود في الدولة الأولى على الأحساء في عام ١٢٠٢هـ وإن كان قد سبق ذلك زحف على أطراف الأحساء وقراها من قبل القادة السعوديين.

أما في الحجاز فقد كان ممالك مصر ثم العثمانيون هم الذين يعينون من يتولى شرافة مكة . . ولذا فإن حالة نجد مرتبطة بهاتين المنطقتين، حتى أن القاريء في كتب التاريخ التي تكتب لمحا عن المنطقة يجد أنهم يشيرون إلى بعض الأسماء وتسميتهم بأشراف نجد، فكانت نجداً من الجهة الغربية تابعة لمكة، ويتبع ذلك تجريد الحملات، ومحاولة اخضاع القبائل وأمراء المناطق للنفوذ، أو على الأصح اشعارهم بقدرة الجيش التركي الممثل في شخصية الشريف، كما حصل في خروج الشريف حسن بن أبي نمي في عام ٩٨٦هـ حيث خرج بخمسين ألف جندي وقصد معكال المعروف في الرياض. وحاصرها وطال مقامه، وقتل فيها رجالاً ونهب أموالاً، وأسر منهم ناساً من رؤسائهم وأقاموا في حبسه سنه، ثم أطلقهم على أنهم يعطونه كل سنه مايرضيه، وأمر فيهم محمد بن فضل<sup>(٢)</sup> ولهذا نظائر كثيرة في التحركات التي من الغرب . .

ومن الشرق فقد ذكر عبدالله بن محمد بن بسام في مخطوطته التاريخية: تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق أنه في عام ٨٥١هـ، غزا زامل الجبري العقيلي العامري. ملك الأحساء والقطيف ومعه جنود عظيمة من البادية والحاضرة، وقصد الخرج، وصبح الدواسر وعايذ على الخرج، وحصل بينهم قتال شديد، قتل فيه رجال من القريتين، ثم صارت الهزيمة على الدواسر وعائذ وأقام في الخرج نحو عشرين يوماً ثم قفل راجعاً إلى وطنه<sup>(٣)</sup>.

(١) سوابق ابن بشر في عنوان المجد ٢ : ٣٠٥.

(٢) سوابق ابن بشر ٢ : ٣٠٤ نقلاً عن العصامي.

(٣) الورقة ١٣، ص ٧ في النسخة المتوفرة لدينا.

وفي عام ٨٥٢هـ يقول: وفي هذه السنة ظهر إلى نجد زامل بن جبر العقيلي العامري من الأحساء ومعه جنود كثيرة من البادية والحاضرة، وقصد الدواسر في واديهم، وكانوا قد اكثروا الغارات على بوادي الأحساء فأوغروا صدره، فدهمهم في منازلهم، ثم إنهم صالحوه على أن يكفوا الغارة عمن تحت يده من العربان وأعطوه من الخيل والركاب ما أرضاه، فرجع إلى وطنه<sup>(١)</sup>.

وبعده كان لابنه أجود مكانه كبيرة حيث كان يقول عنه السمهودي في وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى أنه رئيس نجد ورأسها سلطان البحرين والقطيف<sup>(٢)</sup>.

وذكر عنه العصامي أنه في عام ١٠٩١هـ حج أجود بن زامل مع اتباع يزيدون على ثلاثين ألفاً<sup>(٣)</sup>. . . كما نعتة السخاوي بأنه رئيس نجد وأن له اتباعاً يزيدون عن الوصف مع فروسيه، وأنه أكثر من الحج في اتباع كثيرين يبلغون آلفاً مصاحباً للتصدق والبذل<sup>(٤)</sup>.

(١) الورقة ١٤ ص ٨ في النسخة المتوفرة لدينا.

(٢) ٢ : ٢٢٨.

(٣) سمط النجوم ٤ : ٣٠٥.

(٤) انظر الضوء اللامع ٧ : ١٨٠.

## الزراعة

هذه الحالة المضطربة مع الإضطراب الداخلي بين قوة القبيلة واعتدادها بقدرتها القتالية، وتفاخر القبائل على بعضها بالفروسية والمقدرة الحربية، جعلت الحالة الاقتصادية غير مستقرة، والأمن النفسي غير ثابت . .

وذلك أن الموارد الطبيعية شحيحة من جانب، ومن جانب آخر فإن رأس المال كما يقول الاقتصاديون: جبان لا ينمو في جو غير آمن.

ولذا كانت التجارة والزراعة، مع رغبة النفوس فيهما قليلة، ويصح أن نعتبرهما موجودتين ولكن بدرجة متدنية . . لأن العوامل المنشطة لهما ضعيفة . . فالزراعة يحركها توفر المياه، واليد العاملة . . ولئن كانت الثانية موجودة، فإن الأولى تخضع إلى كثرة الأمطار، وتوفر القدرة المالية للتهيئة لذلك . . إلا أن الإنسان هو ابن بيئته يحاول أن يستفيد منها لو كانت قليلة الإيراد، بقدر جهده، والحاجة تفتق الحيلة . . ويرتبط هذا بتوفر بعض العوامل المعينة، والتعاون الأسرى . والرغبة في الاستقرار.

ونلمس في اللوحات التاريخية أن الزراعة تركز على شيئين مهمين: النخيل وزراعة القمح . .

ولو أخذنا كتابين نموذجاً لبعض المظاهر الزراعية، واقتطفنا منها أخباراً، وهما: مخطوطة تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، لعبدالله بن بسام المتوفى عام ١٣٤٦هـ تقريباً، وسوابق ابن بشر، لتبين لنا بعضاً من مظاهر الزراعة، والعوامل المؤثرة فيها، وضعف إمكانات سكان نجد في القدرة الزراعية، شأنهم شأن غالبية المزارعين في آسيا وأفريقيا، وأنهم يقيمون من الزراعة ما يتلاءم مع قدراتهم، وما تسمح به الموارد المائية، والحيوانات المحركة لهذه الزراعة . .

١ - يقول ابن بسام حسب حوادث السنين عنده:

- سنة ٨٧٨هـ كثرة الأمطار ومنها الوسمى، ثم إنه لما كان الصيف وحصد الناس زروعهم ووضعوها في البيادر، تابعت عليها الأمطار نحو عشرين

- يوماً، وذلك في أكثر بلدان نجد، فانعطنت الزروع ونبت أكثرها في البيادر من كثرة المطر.
- وفي عام ٨٨٣هـ كثر الجراد في أرض نجد وأعقبه دبا - وهو صغار الجراد - كثيراً كل الزروع والأشجار.
  - وفي عام ٨٨٥هـ وقع برد كبير أتلف زروع الخرج وبعض زروع العارض وضرما والمحمل وسدير.
  - وفي عام ٨٩٢هـ كثرت الأمطار والسيول وكثر الجراد وأعقبه دباء كثير أكل الزرع والأشجار.
  - وفي ٨٩٤هـ وقع برد في الصيف أتلف غالب زروع الخرج وضرما .
  - وفي ٨٩٩هـ وقع برد كثير أتلف غالب زروع الوشم والمحمل.
  - وفي عام ٩٠٥هـ كثر الجراد في نجد أعقبه دباء أكل بعض الزروع والأشجار.
  - وفي عام ٧٠٧هـ نزل ابراهيم بن مدلج حرمة وغرسها.
  - وفي عام ٨٣٠هـ عمر عبدالله الشمري المجمععة وغرسها.
  - وفي عام ٩١٦هـ كثر الجراد في نجد وأتبعه دبا وأكل بعض الزروع والأشجار<sup>(١)</sup>.
- ٢ - يقول ابن بشر في سوابقه:
- في عام ١٠١٥هـ قال استولى آل حنيحن على البير وآخذوه من العرينات فعمروه وغرسوه وتداولته ذرية محمد بن حنيحن، وفي نفس العام غرس الحصون آل تميم غارسهم عليه صاحب صباحا في سدير بلد الجنوبية<sup>(٢)</sup>.
  - في عام ١٠٤٠هـ قال: وفي عشر الأربعين بعد ألف استالوا الهزازنة على الحريق ونعام أخذوه من القواودة من سبيع، والذي اظهر الحريق وغرسه: رشيد بن سعود بن سعد الهزاني الجلاسى الوائلي وتداوله من بعده ذريته وهم آل حمد بن رشيد المذكور.
  - وفي عام ١٠٧٩هـ عمر آل عوسجه بلد ثادق وغرسوه.

(١) راجع مخطوطة تحفة المشتاق في حوادث هذه السنين.

(٢) عنوان المجد ٢ : ٣٠٦.

- وفي عام ١١٠٧هـ أفتى الشيخ أحمد بن محمد بن قصير قاضى أشيقر بالفطر في رمضان وأن يحصدوا زرعهم لما ظهر عليهم الشريف سعد بن زيد<sup>(١)</sup>. هذا علاوة عما تكرر لديه ولدى غيره من المؤرخين من أحداث ترتبط بالزراعة المقترنة بعمارة المدن، واستقرار الناس... وتجمع المياه في مجاري الأودية، هي التي نتجت عنها الواحات الكثيرة والتجمعات السكانية... حيث عرف الخرج ومنطقة الرياض ووادي حنيفة بالمركز الزراعي منذ العصر الجاهلي، وقد سمي الخرج خرجاً لتخريجه على الحرمين، كما ثبت عن معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه أنه ارسل إلى الخرج عدداً كبيراً من الزراع في ديار الشام قدره بعضهم بالآلاف لتعميره وتنشيط الزراعة فيه، لتوفر العيون والمياه.

فلقد استفاد على السنة الناس أن المولود يولد في الليل في العينة، فيعرف ذلك في الخرج قبل غروب شمس اليوم التالي، لأن النساء يتناقلن الخبر بالمشافهة لاتصال البيوت والمزارع ولأن المولود من أسرة ذات نباهة ووضع اجتماعي متميز. ومر بنا نصين عن ابن غنام. وسادير أبانا فيهما عن استمرار جريان وادي حنيفة الذي سماه سادير سنة ١٢٣٤هـ نهراً سنة كاملة<sup>(٢)</sup>.

كما أن بعض الأسر ذات الوضع المالي الجيد هي التي تملك المدن والقرى، وهي التي تغرس مزارع النخيل المتعددة حيث أبان الشيخ المنقور في نبذته التاريخية التي حققها الدكتور عبدالعزيز الخويطر ونشرها في طبعتها الأولى عام ١٣٩٠هـ ما يدل على مكانته الزراعية، وحب أهل المنطقة للزراعة وغرس أشجارها، مع أنه منشغل بالعلم والفتيا فهو يقول:-

- في سنة ١١٠٣هـ غرست سمحه وهو اسم نخله، ففي التحقيق جاء: في الفطر الثاني غرست سمحه، والفطر الثاني يعني شهر القعدة<sup>(٣)</sup>.
- في سنة ١١١٠هـ قال: صفار أصاب الزرع، وغرسه حويط المنقورية<sup>(٤)</sup>.
- في سنة ١١١٣هـ قال: وفيها غرست بقية سمحة<sup>(٥)</sup>.

(١) راجع سوابق ابن بشر في عنوان المجد ٢: ٢٩٦ - ٣٧٧.

(٢) انظر ص ١٠ - ١٣ من هذا البحث.

(٣) تاريخه ص ٦٩. (٤) نفس المصدر ص ٧٣. (٥) نفس المصدر ص ٧٦.

والآفات التي تضر بالناس، وتهلك الزراعة كثيرة تبرز بصورة جلية في النبذ التاريخية الموجودة كالجراد الذي يأكل المحاصيل، والسيول والبرد اللذان بهما تهلك الزراعة والمحاصيل، والجفاف والقحط، وغير ذلك مما ندركه في مثل هذه النصوص.

- في عام ١٠٧٧هـ يقول الفاخري: وفيها اشتد الغلاء، وأكلت الميتات والكلاب، أما في نجد فالأمر عظيم، فإن أهل مكة باعوا المتاع والحوایج وفيهم من باع أولاده، وفيهم من رمى بهم<sup>(١)</sup>.
- في عام ١٠٨٧هـ يقول الفاخري: وفيها جلامانع بن عثمان الحديثه وربعه إلى الأحساء<sup>(٢)</sup>.
- وفي عام ١١٠٧هـ يقول الفاخري: وفيها إجلاى آل عبهول من حوطه سدير بعد غدرتهم في آل ابن شقير، وقودتهم آل أبو هلال عليهم<sup>(٣)</sup>.
- وفي عام ١١٠٩هـ يقول أيضاً: وفيها جلوا آل محمد وآل فرقان وآل راجح من بلدا شيقر<sup>(٤)</sup>.
- وفي ١١٢٧هـ يقول أيضاً: وفي المحرم منها حصل برد عظيم ضر النخل، وكسر الصهاريج الخالية من الماء وجمد الماء في أقاصي البيوت الكنية، وذلك من الخوارق<sup>(٥)</sup>.
- وفي عام ١١٢٨هـ قال: وفيها غارت الآبار وغلت الأسعار. ومات مساكين جوعاً، وهذا القحط لم يسم، وقد استمر إلى سنة إحدى وثلاثين<sup>(٦)</sup>.
- وفي عام ١١٣٦هـ ذكر الفاخري نموذجاً من الآفات التي تصيب الناس هناك فقال: وفي هذه السنة عم القحط والغلاء، من الشام إلى اليمن في البدو والحضر، وماتت الأغنام وكل بعير يشدّ وهتلوا أكثر البدوفي البلدان، وقاض ابن صويط بين الشام والعراق، وغارت آبار وجلوا أهل

(١) الأخبار النجدية ص ٧٤.

(٢) انظر ص ٧٧ من تاريخه.

(٣) انظر تاريخ الفاخري ص ٨٧.

(٤) المصدر ص ٨٨.

(٥) المصدر ص ٩٦.

(٦) المصدر ص ٩٧.

سدير، ولم يبق في العطار إلا أربعة رجال، وغارت آباره إلاركتين، وكذلك العودة إلاركتين، وجلا كثير من أهل نجد إلى الحساء والبصرة والعراق، في هذه السنة والتي تليها، وذهبوا - أي هلكوا - حرب والعمارات من عنزة، وذهب جملة ماشى بني خالد وغيرهم. وكان الأمر كما قال بعض أدباء أهل سدير في تلك الأيام، قصيدة يذكر فيها شدة ما أصابهم، ويتوسل إلى الله ويدعوه قال فيها:

غدا الناس أثلاث فثلث شريدة يلاوي صليب البين عاري وجائع  
وثلث إلى بطن الثرا دفن ميت وثلث إلى الأرياف جال وناجع  
وفيها هدموا آل أبوراجح منزلة آل أبو هلال<sup>(١)</sup>.

ومثل هذه الأمور كثيرة جداً، لأنها من الأمور المهمة في حياة الناس ذلك الوقت، وعليها قوام حياتهم، وتأثير معيشتهم. كما أن مثل هذه الأحداث أصبحت حديث الناس أعواماً متطاولة، وصارت جزءاً من تاريخ كثير من الأسر، والمؤرخ يرصد ما له أهمية في سير وتاريخ من حوله، فكان لابد من تدوين ذلك كما أنها بالنسبة للدارس والمتابع تعكس الوصف الاجتماعي، والوضع المعيشي للمنطقة ومن فيها.

---

(١) انظر تاريخه: الأخبار النجدية ص ٩٨ - ٩٩. ويلاحظ عليه سيطرة اللغة الدراجة على أسلوبه.



## من الملامح الاقتصادية

التجارة جزء من حياة البشر، من حيث التعامل والأخذ والعطاء، ذلك أن البيع والشراء ضرورة من ضرورات البشر، فكل فرد بائع ومشتري، ووسيلة ذلك أنفس المعادن وأخفها حملاً، وهو الذهب والفضة... فكان البيع والشراء يتم بها، وفي حالة فقدهما أو ندرتهما تتم المقايضة بنوع من المعروضات للبيع والشراء، مع المفاضلة بينهما بحسب ما يتراضى عليه الطرفان.

والتجارة هي عبارة عن الاهتمام بالأشياء الضرورية، وبيع وشراء ما يحتاجه الناس في حياتهم اليومية، من ملابس ومركب، ومسكن وغذاء. وما ينتج عن ذلك من نفع تتصرف به حياة الناس، وتتدبر به أمور حياتهم ومعيشتهم.

ونجد قبل قيام الدولة السعودية الأولى، حيث تصافحت يدا الإمامين محمد بن سعود، ومحمد بن عبد الوهاب رحمهما الله في الدرعية عام ١١٥٨هـ، وتعهداً على إقامة شرع الله، والدعوة لدينه والجهاد في سبيل ذلك... كانت تعتمد في اقتصادها على البساطة لضعف مواردها، ويمكن تصنيف الأمور الضرورية وفق متطلبات الناس في حالتين:

- موارد محلية تغطي الحاجة، ويصدر الفائض للبلدان المجاورة، ليحقق مصدراً معيناً على توريد الضروريات... ويتمثل هذا في المواشي بأنواعها، وما ينتج عنها من صوف وجلود، وسمن وغزل ويتبع ذلك بعض المحاصيل الزراعية الناتجة عن النخيل.

فمن الموارد المحلية الزراعية والحيوانية، ينظم البشر هناك حياتهم، ويتعاملون فيما بينهم فالبدوي يبيع في الحاضرة ما عنده، ليشترى ما يتوفر لديهم من طعام ولباس وأواني وغيرهما وهكذا الفلاح والحضري ويقوم على تلك المنتجات المحلية صناعات وحرف يدوية...

- وموارد خارجية مما لا يتوفر إنتاجه في البيئة، مما يحتاجه الناس من أوانٍ وقدرٍ وملابس وأدوات . . فهذا يستورد بقوافل جماعية، تتعرض لمخاطر البادية، وقطاع الطريق: بالتعدي نهباً ومقاتلة . . ولذا يعتمد أصحابها إلى دفع ضريبة باسم: «أخاوة» لشيوخ القبائل للحماية أثناء مرور القافلة بأراضي هذه القبيلة، وتنتهي المسؤولية إذا دخلت القافلة حدود القبيلة الأخرى، مما يستوجب دفع عدة أخاوات لأكثر من قبيلة، حتى تبلغ القافلة مقصدها في إحدى الحواضر، كما نبه إلى ذلك ناصر خسرو في رحلته عام ٤٤٣هـ، عند مسيرته من الطائف إلى الأفلاج «فلج»، فقد قال في واحدة من وقائع سفره: نزلنا عند أكبرها وتسمى حصن بني نمير، وهناك قليل من النخيل، وبيت الأعرابي الذي استأجرنا جملة في الجزع هذه، ولبثنا هناك خمسة عشر يوماً، إذ لم يكن معنا خفير يهديننا الطريق، ولكل قوم من عرب هذا المكان أرض محدودة، ترعى بها ماشيتهم، ولا يستطيع أجنبي أن يدخلها، فهم يمسكون كل من يدخل بغير خفير، ويجردونه مما معه، فيلزم استصحاب خفير «جلاوز» وقد اتفق أن جاء إلى الجزع رئيس الأعراب الذين كانوا في طريقنا، وهم بنو سواد، واسمه أبو غانم عبس بن البعير، فاتخذناه خفيراً، وذهبنا معه، وقابلنا قومه، فظنوا أنهم لقوا صيداً، إذ أن كل أجنبي يروونه صيداً، فلما رأوهم معنا اسقط في أيديهم، ولولا ذلك لأهلكونا، وفي الجملة لبثنا معهم زمناً، إذ لم يكن معنا خفير بصحبنا، ثم أخذنا من هناك خفيرين، أجرة كل منهما عشرة دنائير، ليسيرا بنا بين قوم آخرين<sup>(١)</sup>.

وقد استمر هذا الوضع في نجد وغيرها في أطراف الجزيرة، حتى قيام الدولة السعودية الأولى، حيث أبطلها قادتها بتوفيق من الله، ثم بقوة الوازع الديني، والوازع السلطاني، لأن الأمن اتسعت أرجاؤه كما ذكر ابن بشر في تاريخه. ثم عادت الحالة لوضعها السابق، إلى أن أرسى دعائمه الملك عبدالعزيز رحمه الله فانمحت هذه الظاهرة، واستتب الأمن، ونمت الحركة الاقتصادية، وأمن الناس والحجاج بشيء لم يعرف له نظير من قبل . . والله الحمد والشكر على ذلك.

(١) سفرنامه ١٣٨ - ١٣٩.

كان في نجد ذلك الوقت طبقة من التجار، وفئة من المتصلين بالمناطق المجاورة للبيع والشراء، وكان التواصل التجاري مرتبطاً، بحسب وضع الناس ذلك الوقت داخلياً، ومع جيرانهم.

وفي النبذ اليسيره التي جاءت في الرصد التاريخي عن تلك الفترة، دلالة على أهمية القوافل التجارية، لأنها شريان الحياة الإقتصادي، إذا سلم من الإعتداء.

وللملامح الاقتصادية ذكر في النبذ التاريخية التي رصدت بعض الأحداث في نجد، فمن ذلك :-

## أولاً - القوافل التجارية :

١- يذكر ابن بسام [١٢٦٨ - ١٣٤٦هـ] في مخطوطة تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، مقتطفات تنبئ عن التعامل التجاري، والحركة الإقتصادية، بيعاً وشراءً، ونقلًا وتجارة ولكن باقتضاب شأنه شأن كل من كتب عن تاريخ المنطقة فمن ذلك قوله :-

- في عام ٨٧٨هـ كثرت الأمطار والسيول، وعمّ الرخاء في البلدان. <sup>(١)</sup>
- وفي نفس السنة ٨٧٨هـ أخذ آل كثير والعوازم وزغب قافلة كبيرة لأهل نجد على اللصافة - موضع ماء - وهي قادمة من البصرة من الأموال والأمتعة الشيء الكثير. <sup>(٢)</sup>
- وفي عام ٨٨٥هـ يقول: أخذ آل كثير قافلة في الوشم، وفيها أخذ آل مغيرة قافلة للدواسر خارجة من الأحساء. <sup>(٣)</sup>
- وفي سنة ٨٨٩هـ يقول: أخذ سبيع والدواسر قافلة كبيرة لعنزته، خارجة من الأحساء وذلك في الدهناء وقتل شيخ القافلة، ماضي بن صلال من الدواسر.
- وفي سنة ٨٩٤هـ يقول أخذوا عنزه قافلة للفضول في سدير. <sup>(٤)</sup>
- وفي عام ٨٩٩هـ يقول: أخذوا الدواسر قوافل آل مغيرة وآل كثير على بنبان. <sup>(٥)</sup>
- وفي عام ٩٠٥هـ يقول: أخذوا سبيع قوافل الفضول في الخرج، وفيها أخذوا الدواسر قافلة للفضول خارجة من الأحساء. <sup>(٦)</sup>

(١) انظر مخطوطة تحفة المشتاق ورقة ١٢ .

(٢) نفس المصدر والورقة .

(٣) نفس المصدر ورقة ١٤ .

(٤) نفس المصدر ورقة ١٥ .

(٥) نفس المصدر ورقة ١٦ .

(٦) نفس المصدر ورقة ١٦ .

(٧) نفس المصدر ورقة ١٧ .

ومن هذه النماذج نستنتج أن قوافل النقل كانت تتولاها قبائل البادية، لتجمعها واستعدادها للمجابهة من جانب، ولما يدر عليها من موارد متاجرة، أو عوضاً عن أجرة النقل.

ويعتبر الإعتراض على القوافل التجارية، من أبرز الأحداث التي يرصدها المؤرخون كثيراً، ويتناقلها الناس في مجتمعاتهم أخباراً ذات أهمية.

٢ - كما يذكر ابن بشر [١٢١٠ - ١٢٩٠هـ] في سوابقه شيئاً من ذلك أيضاً.

إلا أن الجديد عنده اهتمامه بأخبار قوافل الحاضرة وأسعارهم فمن ذلك قوله :-

- في عام ١٠٧٢هـ أخذ أهل البير قافلة من اللباس لأهل العيينة لأن رئيسها

عبدالله بن معمر اخذ لهم ابلاً من سوانيهم فاخذوا القافلة من اجلها<sup>(١)</sup>.

- ومكانة العيينة ذكرها الفاخرى [١١٨٦ - ١٢٧٧هـ] في تاريخه في حوادث

عام ١١٣٨هـ عندما قال وفيها كانت وجبة - أي كثرة الموت - العيينة، حلّ

بهم وباء أفنى غالبهم، ومات فيهم رئيسهم عبدالله بن محمد بن معمر الذي

لم يذكر في زمانه ولا قبله في نجد، من يدانيه في الرئاسة، ولاسعة الملك

والعدد والعدة، والعقارات والأثاثات<sup>(٢)</sup>.

- وفي عام ١٠٩٦هـ يقول ابن بشر [١٢١٠ - ١٢٩٠هـ] وفيها: غلا الطعام

من الخنطة وغيرها، وصارت الوزنة بمحمدية والصاغ بثلاث<sup>(٣)</sup>، وإذا

أطلقت الوزنة فيعني بها من التمر، أما الصاغ فمن الخنطة، وهاتان

السلعتان هما ابرز ما يرصد في النبذ التاريخية باعتبارهما الغذاء الرئيسي

للسكان ومناطق اهتمامهم. وبمعرفة سعرها تبرز الناحية الاقتصادية ومستوى

المعيشة في البلاد.

- وفي عام ١١٢٥هـ يقول الفاخرى [١١٨٦ - ١٢٧٧هـ] وفيها: كثرت

القوافل من عنزة جاء والتمر على مائة بالأحمر، وآخرها انتهى إليه عند

رحيلهم خمسين، ورخصت الجلايب - ويعني بها الإبل - وبيعت الفاطر -

وهي كبيرة السن من الإبل السمينة - أدناها خمس محمديات، وأعلاها أربعين،

(١) عنوان المجد ٢ : ٣٣٧.

(٢) الأخبار النجدية ص ١٠٠.

(٣) عنوان المجد ٢ : ٣٣٩.

وأعلاها بيع ثمن الركاب - وهي من الإبل ما استخدم للركوب - ثمانين جديدة، والسمن عشرة أصواع<sup>(١)</sup>

- ومانجده كثيراً لدى الفاخري، وابن بسام، وابن بشر، نجد مثله مختصراً في النبذ التاريخية الأخرى كابن ربيعة العوسجي، والمنقور. وابن لعبون وغيرهم.. لكننا لانراهم يذكرون سلعاً تجارية أخرى ولا عن تكاليف الصناعات البسيطة المحلية.. مما يعطى مؤشراً على ضعف المصادر الاقتصادية.

---

(١) انظر الاخبار النجدية ص ٩٥. والمحمدية والجديدة نوع من العملات.

## شراء المدن

العقار مصدر من مصادر الحركة الاقتصادية، والإنسان فطر الله فيه حب الأرض والاستئناس بها، ومن هنا ندرك سبب كثرة القتال في نجد ذلك الوقت، حسبما رصد في النبذ التاريخية، ورغبة بعض الأسر في إجلاء أسر أخرى عن البلدان، لأن موارد تلك البلد ضاقت بأهلها فأراد القوي أن يبعد الضعيف عن طريق القوة.

لكن بعض الوجهاء والأثرياء، لا يلجأون لمثل هذا الأسلوب، وإنما يعمدون إلى إحدى حالتين: إما الإحياء والمصالحة مع أهل المنطقة ليجاوروهم، وإما بالشراء والتملك... والحالة الأخيرة تعتبر أسلوباً اقتصادياً بالدفع والتملك. ومن ذلك المدن التالية:-

١. **العيينة:** فقد ذكر ابن عيسى [١٢٧٠ - ١٣٤٣هـ]: أن حسن بن طوق، جد آل معمر آل يزيد من بني حنيفة، أهل الوصيل والنعيمة - قد اشترى العيينة عام ٨٥٠هـ - الذي من بقيتهم اليوم آل دغيشر المعروفون في بلد الرياض، ورحل من ملهم، ونزلها وتداولتها ذريته من بعده.<sup>(١)</sup>

٢. **حريملاء:** ذكر ابن طعيس في بحثه عن هذه المدينة، أن أحمد أبوريشه، بعث ابنه يوسف في القرن التاسع، ليختار مكاناً صالحاً للسكنى ويعمره، ووقع نظره حسب وصيه والده على حريملاء، وأمضى سبع سنوات في حفر الآبار، وتنظيم القنوات، وإنشاء المساكن، وبناء السور، ووالده يمدد بالمال الذي ضاق ذرعاً وأمره بالعودة إلى الشام، فتركها في عام ٨٩٣هـ.<sup>(٢)</sup>

أما بن بشر فقد ذكر في سابقه ١٠٤٥هـ. أن آل رباح نزلوا بلد حريملاء، المعروفة وغرسوها، وذلك أن آل حمد بني وائل وقع بينهم وبين آل مدلج في التويم خلاف، فخرج على بن سليمان آل حمد، واشتروا بلد حريملاء من حمد بن عبد الله بن معمر وكانت في ملك حمد المذكور.<sup>(٣)</sup>

(١) انظر كتابة بعض الحوادث الواقعة في نجد، طبع بإشراف الشيخ حمد الجاسر ص ٣٥.

(٢) مدينة حريملاء ١: ١٨-١٩. (٣) عنون المجد ٢: ٣٢٠-٣٢١.

٢ - كما تبرز المغارسة وهي استثمار اقتصادي : الموقع «الأرض» لشخص والجهد الزراعي لشخص آخر، فيقام الغرس مشتركاً في غلة بينهما . . هذا كثير في الملكيات الخاصة بالأفراد، كما تظهر المبيعات الفردية بالشراء أيضاً في التملكات الفردية والأسرية، التي لم ترصد تاريخياً، وإنما يفصح عنها ما يتوفر لدى الناس من عقود ومبيعات . .

وعن المغارسات تأتي لمحات تشير لذلك، فقد ذكر ابن بشر في سوابقه أنه في عام ١٠١١هـ غرس الحصون القرية المعروفة في سدير، والذي غرسوه آل تميم، غارسهم عليه صاحب القارة، المعروفة بصبحا في سدير عند بلد الجنوبية.<sup>(١)</sup>

---

(١) عنوان المجد ٢ : ٢٠٦ .



## العملة

النقود فضية أو ذهبية - هي محور الاقتصاد ومسيرته . . ولم يكن في نجد ذلك الوقت عملة مستقلة ، كما أن تجارتهم وتعاملهم لم يكن مع بلد بذاته حتى يأخذوا عملته . . ولذا فإن الإشارات التاريخية تنبئ عن وجود عملات عديدة ، وذكر بعضها هو من باب الإبانة عن الواقع ، وليس من قبيل الإستقصاء ذلك أن قوافل البادية ، هي التي تقوم بأغلبية النقل في التوريد والتصدير ، في نجد وإليها إلى ما يجاوره وكل قبيلة تتولى مايليها من ديار وحواضر ، هذه التجارة تستوجب التداول النقدي ، ولما لم يكن في المنطقة عملة خاصة بها ، إلا أن التبادل التجاري مع البلدان المجاورة ، يحتم وجود عملة معتبرة ، فكانت العملات السائدة في كل بلد هي محور التعامل الاقتصادي .

وفي اللوحات التاريخية المرصودة ، يمر بنا أخبار اقتصادية ، ومعلومات عن النشرة التسعيرية لكل سنة ، بحسب الوضع الاقتصادي السائد في البيئة : عرضاً وطلباً . . كما يحصل في النشرات الاقتصادية والتجارية في عصرنا الحاضر .

ولكننا لا نعلم عن تلك العملات التي كانت متداولة في المنطقة ، وإلى أي جهة تنتمي ، ولا شك أن بعضها يرتبط بأكبر دولة تتعامل مع المسلمين وتسيطر على غالبية الرقعة الإسلامية ، إنها الدولة العثمانية ، وقد يكون بعضها سبقها ، أو يرتبط بجهات أخرى كالحكومة البريطانية .

ومن هنا فإن مصطلحات ودلالات أطلقها أهل المنطقة عليها ، فأصبحت اصطلاحاً ينبئ عما ترمز إليه ، ولا مشاحة في الاصطلاح لأن الاسم الحقيقي أعجمي يثقل نطقه على ألسنة العرب . . وقد يكون لسبب آخر لا نحيط به ، والعرب إذا أعياهم معرفة الحقيقة عن أي شيء ، وارتباطه باسمه قالوا : إن الاسماء لا تعلل .

ومن العملات التي تتكرر كثيراً ما يلي :-

- ١ - الدينار : وهو عملة ذهبية مضروبة ، والدرهم وهو وحدته .
- ٢ - الدانق : عملة ذهبية توزن ، ويأتي للدانق ذكر في كتب الفقه .
- ٣ - الأحمر : عملة ذهبية .
- ٤ - الحمديدية : عملة فضية ، مجزأة من الأحمر ، كتجزئة الدرهم الفضي من الدينار الذهبي .
- ٥ - المشخص : عملة ذهبية ، يظهر أنه أثمن من الأحمر وأعلى قدراً .
- ٦ - المحلق : عملة نحاسية مشقوقة الوسط ، وبعضهم يرى أنها فضية ، ولعل التسمية من كونه على هيئة حلقة .
- ٧ - المطبق : عملة نحاسية تماثل المحلق في القيمة .
- ٨ - الحرف : دراهم فضية كانت معروفة في ذلك الزمن .
- ٩ - الجديدة : عملة مستطيلة وهي بمثابة القرش ، وكانت سائدة في الاحساء والرياض في بداية عهد الملك عبدالعزيز رحمه الله . وبعضهم يخلط بينها وبين الطويلة .
- فالدينار ذكره ناصر خسرو في أجرته للجمال من الفلج إلى البصرة ، واشترط عليه تسليمه ذلك المبلغ في البصرة لنفاد مامعه من نقود<sup>(١)</sup> . كما نقد أحد الجمالين عشرة دنانير في رحلته من الطائف إلى الفلج عندما مرّ بديار بعض القبائل لأن كل قبيلة تأخذ عليه عشرة دنانير لكل خفير يحميه في حدودها وهم كثيرون<sup>(٢)</sup> . كما أوضح الدرهم ، وأن تعامل أهل الأفلاج بالذهب النيشابوري<sup>(٣)</sup> .

وهذا يدل على أن الدينار عملة الدولة العباسية ذلك الوقت سنة ٤٤٣ هـ معروف في المنطقة . .

- ولقلة توفر النقد ذلك الوقت فإن كثيراً من المعاملات الإقتصادية كانت تتم بالمقايضة ، فقد ذكر ناصر خسرو ، إن أهل قلعة الفلج «الأفلاج» : أجروه على نقش محراب مسجددهم بمائة من من التمر ، ومائة من تمرأ عندهم شيء

(١) انظر سفرنامه ص ١٣٩ .

(٢) نفس المصدر ص ١٣٨ - ١٣٩ .

(٣) نفس المصدر ص ١٤٠ .

كثير، فقد أتى وأنا هناك. جيش من العرب وطلب منهم خمسمائة من تمرًا، فلم يقبلوا وقاتلوا، وقتل عشرة رجال من أهل القلعة، وقلعت الف نخلة، ولم يعطوها عشرة أمان تمرًا<sup>(١)</sup>.

أما الأحمر والمحمدية: فيبدو أنهما عملتان مرتبطتان ببعضهما كارتباط الدينار بالدرهم، وأن المحمدية جزء من الأحمر، لأنها يأتیان متلازمان في التسعير، والأحمر أكثر قيمة من المحمدية، مما نستنتج منه أن الأحمر مأخوذ اسمه من لونه، وهو الذهب. إذ طالما سمعنا جذوراً لدى كبار السن بتسميتهم الذهب: الأحمر أو الأصفر، وتسميتهم السلاح كالسيف والرمح بالأخضر. ولدى كثير من العامة ذكر لذلك. وفي الأشعار أيضاً.

يقول ابن بشر [١٢١٠ - ١٣٩٠هـ] في سوابقه: ففي عام ١٠٩٩هـ: كثرت الكمأ والعشب والجراد، ورخص الطعام رخصاً عظيماً، وبلغ التمر عشرون وزنه بالمحمدية، والبرخسة آصع بالمحمدية، وذلك في ناحية سدير، أما العارض فبيع التمر في الدرعية الف بأحمر<sup>(٢)</sup>

وقد أرخ تلك السنة وأسعارها بعضهم فقال:

بحمد	الله	والشكر	نعج	لسحب	تشج	وأرض	تمج
وتمر	ثلاثة	أصواحه	بدفع	الملحلق	فيها	تزج	
وبر	فحرف	بوسقينه	وتاريخه	ذا	كساد	يشج	

ثم قال ابن بشر: الحرف نوع من الدراهم يتعاملون بها في زمانهم، والوسق قال المنقور ستون صاعاً بصاع العارض<sup>(٣)</sup>.

ومن هذا نتوقع تزامن هذه العملات الأربع: الأحمر والمحمدية، والملحوق والحرف. . وأن بعضها مرتبط ببعض، وقد يكون الحرف أكبرها لأن الوسقين وهما ١٢٠ صاعاً بحرف. أو يفضله الأحمر لأنه ذهبي لأن الألف وزنه من التمر بأحمر.

(١) نفس المصدر ص ١٤٠.

(٢) انظر عنوان المجد ٢: ٣٤٢، وانظر تاريخ المنقور ص ٦٤، حيث قال ووصل الحب اربعة

عندنا والتمر عشرين لكنه لم يسم العملة.

(٣) نفس المصدر ٢: ٣٤٣، وانظر تاريخ الفاخري الأخبار النجدية: ٨٢.

والمحمدية تفضل المحلّق . . ولو تهياً الحصول على شيء من هذه العملات لأمكن تقدير ثمنه .

- وفي ١١٠٠هـ قال ابن بشر في سوابقه : وفي تمام المائة بعد الألف . أتى الحجاج الثلاثة ، ونزلوا بعنيزة في ناحية القصيم وغلا الطعام<sup>(١)</sup> ، مما ينبىء على أن عنيزة كانت مركزاً تجارياً مهماً وأنها ملتقى قوافل الحجاج ، ولهذا دوره في الناحية الاقتصادية في المنطقة كلها .

- والمحلّق التي مرّ بنا ذكر لها في بعض الأسعار، عملة كانت معروفة في الحجاز، قال لي من رآها إنها تشبه القرش مستديرة ومشقوقة في وسطها، وهي بمثابة الدرهم بالنسبة للدينار، ويعادها المتحدث عنها بنصف الريال السعودي الفضة . . وقد قرن ذلك بالمثل العامي : يامن أدخلني بمحلّق يخرجني بإثنين . . ولما كان لكل مثل قصة : فقد سألته عن قصة هذا المثل فأخبرني أن مستبضعاً من أهالي شقراء، ذهب مع قافلة «الحدرة» إلى مكة للتجارة وقد استبضعه شخص سمناً ليبيعه في مكة، ويشترى بقيمته نوعاً من البضائع حددها له صاحب السمن، والربح بينهما؛ من هذا المال، ومن الآخر الجهد . . ولما وصل مكة باع سمنه على سمن كالعادة، ووعده بالقيمة بعد أيام، لكن السمن اختفى من دكانه، ولما سأل عنه قيل إنه في السجن بسبب قضيه، فطال انتظاره، وقاربت القافلة على الخروج إلى نجد . ولم يخرج هذا من السجن . فقرر الإتصال به بأي ثمن، ووجد الحيلة مع السقاء الذي يموّن السجن بالماء، فقال له : أدخلك السجن بمحلّق لتلتقي بصاحبك وتتفق معه فوافق ولم يفكر في العاقبة، ولما التقى بصاحبه وعده خيراً بأن يعطيه حقه حالما يخرج من السجن، وإن كان سيسافر فليوكل وكيلاً عنه لأعطيه مالك عندي من حق . . فوافق مرغماً . . وعندما اتجه للباب ليخرج منصرفاً منعه السجنان ظاناً أنه من نزلاء السجن وانتظر حتى جاء وقت مجيء السقاء فقال له مثلما أدخلتني أخرجني . فقال : ولكن بمحلّقين هذه المرة . . فوافق وقال ذلك المثل : يامن أدخلني بمحلّق يخرجني بإثنين .

(١) عنوان المجلد ٢ : ٣٤٣ .

- أما الفاخري فيقول: في عام ١١٢٧هـ فيها بيع الطلّي بأحمرين<sup>(١)</sup>، والطلّي هو ذكر الضأن.
- وفي عام ١١٣٣هـ يقول أيضاً: وفيها بيع التمر على مائة وعشرين وزنة بالأحمر، - الوزنة كيلو ونصف تقريباً، والحب على خمسة وأربعين صاعاً بالأحمر.<sup>(٢)</sup>
- وابن ربيعه العوسجي [١١٥٨ - ١٠٠٠هـ] يقول في تاريخه عام ١١٣٩هـ. ورخص فيها الزاد والتمر وصار عشرين وزنه، والعيش ستة أصع بالمحمدية، وهي رجعان سحي<sup>(٣)</sup>. وقد علّق المحقق الدكتور الشبل على المحمدية بأنها: نوع من العملة ينسب إلى السلطان العثماني محمد بن ابراهيم الذي تولى السلطة عام ١٠٥٨هـ، وخلع.
- والمطبّق عملة كان عبدالله بن محمد بن طوق بن معمر قد اعتمدها في العارض، حيث سمى أهل العارض عبدالله هذا بالمطبّق لأن معاملتهم بالمطابق، ضمن أحداث عام ١٠٩٦هـ.<sup>(٤)</sup>
- أما المشخص، فقد أشار إليه كل من:-
- الفاخري [١١٨٦ - ١٢٧٧هـ] في أخبار عام ١١٢٧هـ بقوله: وفيها: بيع صاع السمن بمشخص والطلّي بأحمرين<sup>(٥)</sup>. ويرى الدكتور الشبل محقق هذا الكتاب أن المشخص نوع من العملة أحدث وأثمن من الأحمر.<sup>(٦)</sup>
- والمنقور [١٠٦٧ - ١١٢٥هـ] في حوادث عام ١١١٣هـ بقوله: وفيها غلاء عظيم حتى أنهم أكلوا الميتة، وسوى التيس خمسة مشاخص.<sup>(٧)</sup>
- ونماذج ذلك كثير، وما ذكرناه ماهو إلا من باب التقريب، لكن ما يجب

(١) الأخبار النجدية ٩٦.

(٢) نفس المصدر ٩٧.

(٣) تاريخ ابن ربيعه ٩٠. (٤) نفس المصدر هامش ص ٩٠.

(٥) تاريخ المنقور ص ٦١.

(٦) حاشية ص ٦١ من نفس المصدر.

(٧) الاخبار النجدية ص ٩٦، وانظر حاشية المحقق.

(٨) تاريخ المنقور ص ٧٦.

التسليم به أن هذه العملات لم تكن مضروبة محلياً، وإنما هي عملات متداولة في بلدان مجاورة، دعت الحاجة إلى التعامل معها، وهي فضية وذهبية ونحاسية ونيكلية.

أما الاسماء فهي اصطلاحات محلية، تختلف به عما هو معهود في المكان الذي ضربت فيه، أوفى البلدان التي تتعامل بها.

ومن باب المقاربة، فإنه وإلى عهد قريب، وفي بداية عهد الملك عبد العزيز رحمه الله، وقبل أن يضرب عملة رسمية للدولة، كان يتم تداول عملات عديدة في أجزاء البلاد، وتعرف بأسماء محلية متعددة ومن ذلك :-

- الليرة: الذهبية العثمانية كانت تعرف باسم عِصْمَلِيٍّ. وهناك جنيه يعرف باسم أبوبنت لعله انجليزي أو أوروبي.

- الباوند الذهبي الانجليزي: لاختلاف سعره كان الأجود منها يعرف باسم جورج، والأقل يعرف باسم: المجيدي، ووحدته النحاسية تعرف باسم البيشلي وهاتان العملتان ضربهما السلطان عبد المجيد وتحملان اسمه.

- عملة فضية بلجيكية تحمل صورة المملكة تريزيا: كانت تعرف في الحجاز ونجد واليمن باسم: الريال الفرنسي.

وقد عودل بالريال السعودي الأول الذي ضربه الملك عبدالعزيز عام ١٣٤٣هـ. وهذا الأخير كان بعض العامة لا يعرفونه إلا بالكبير أيضاً لأنه في حجم الريال الفرنسي، وكان وزنه أثقل من الريال الفضي المعتاد.

- الروبية الهندية لعموم حكومة الهند الشرقية قبل الاستقلال عن بريطانيا، كانت سائدة في الخليج والأحساء ووسط نجد، وكانت تعرف باسمها مخفضة: ربية. ووحدتها النحاسية تعرف بالبيزة وجمعها بيزات والأقل يعرف بالآنة.

ولكن الذي تعارف عليه بعض الناس في نجد أن البيزتين: يطلق عليهما اسم: تفلسية، ولست ادري ماذا تعنيه إلا إذا كانت في الإفلاس لضعف القيمة.

وأن الاربع بيزات تسمى ربع، وقد عودل الربع هذا بالقرش السعودي بعد ضربه، فكان الريال السعودي يساوي عشرين ربعا أي ثمانين بيزة.

وفي أيام الحرب العالمية الثانية عندما اشتد الطلب على النحاس، بدأت البيزات النحاسية تختفي تدريجياً حتى أصبحت أثراً بعد عين.

- وفي الرياض كانت تعرف الجديدة، وهي عملة نيكيكية عثمانية، فاستمر الناس في إطلاقها بعد اختفائها على القرش السعودي، وصار العامة فترة من الزمن لا يعرفون القرش إلا بالجديدة حتى تمكن الاسم من السنتهم.
- وفي الأحساء كانت الطوالة. وبعضهم يسميها الطويلة والبارة وهما من النيكل أيضاً. . وقد رأيت قطعاً من البارة هذه فهي مستديرة تشبه الهللة رخيصة القيمة بيضاء اللون لها وحدات ٥ بارات، ١٠ بارات.
- كما كان في اصطلاح الناس في المزايدات، والبيع والشراء مسمى: القرش وتنطق بين القاف والسين والجيم، وتعني في مفهومهم ثلث ريال. . ولا يوجد مقابلة عملة بذاتها.

ولما كان العرب يقولون في أمثالهم: لا مشاحة في الاصطلاح. . فإن مثل هذه المسميات قد تكون محلية، وقد تختلف من مكان إلى مكان. . كما يلمس ذلك من يتعامل مع العامة والقرويين في كل بلد عربي أيضاً. .

## خاتمة

لا أقول إنني في هذه العجالة قدمت جديداً، في هذا الموضوع التاريخي الهام، ولا أدعي أنني سبقت إلى معلومات لم ترصد من قبل . .

ولكنها مشاركة في التجميع والتبويب، في بداية لعمل أرجو أن يكون فيه القدرة على المساهمة بجهد المتواضع في المستقبل . . وأن يعينني الله على تجميع لبنات تساهم في بناء الصرح المجيد لهذه البلاد . . وأن يأتي سبحانه بمن هو أوسع مني اطلاعاً، وأوفر حظاً في تجميع شتات هذا الموضوع من مصادره العديدة . . إذ بتضافر الجهود، تكبر الآمال، وتتحق الأمور المطلوبة . . كما يقول المثل الإيطالي: الألف ميل تبدأ بخطوة . .

ولا اكتم القارىء سراً، عمالقيت من غمز ولمز، عندما بدأت أنشر عن هذا الموضوع، ذلك أن من ينظر إلى الناس، ويستمع لما يقولون فإنه لاشك، ستهبط همته، ويصيبه الكسل واليأس . .

ومن هنا فإنني التمس من القارىء العذر من القصور، فجلّ سبحانه من لا عيب فيه، ثم اعتذر أخرى عن محتوى هذه المادة، لأنني لم أهيتها ككتاب، ولكن أخاً عزيزاً أثر تحويلها إلى كتيب وطلب أن أضع لها مقدمه وخاتمة . . فأجبتة على مضض، على أمل أن أجد من القارىء العزيز ما استطيع به تحسين وزيادة الطبعة الثانية . . فرحم الله من أهدى إلي عيوب نفسي ولم أهداف الاستقصاء في هذا الموضوع، فيكفي من القلادة ما أحاط بالعنق . . والله المستعان على كل أمر.



## مصادر البحث

### أولاً - المخطوطات :

- ١ - تحفة المشتاق في أخبار الحجاز ونجد والعراق للشيخ عبدالله بن محمد بن بسام .
- ٢ - الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد في العصر الأموي للدكتور: عبدالله بن محمد بن سيف .
- ٣ - السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة لأبن حميد العريمضى .
- ٤ - علماء نجد قبل الدعوة للشيخ منصور بن عبدالعزيز الرشيد .
- ٥ - فصول من تاريخ جلال لمؤلف هذا الكتاب .
- ٦ - مخطوطة مقبل الذكير التاريخية : لمقبل عبدالرحمن الذكير .
- ٧ - نبذة تاريخية عن نجد للشيخ ابراهيم بن ضويات .

### ثانياً - الدوريات :

- ٨ - مجلة الدار: تصدر عن دار الملك عبدالعزيز بالرياض .
- ٩ - مجلة العرب: تصدر عن دار اليمامة بالرياض .
- ١٠ - ملف الثقافة العدد الأول. يصدر عن جمعية الثقافة والفنون .

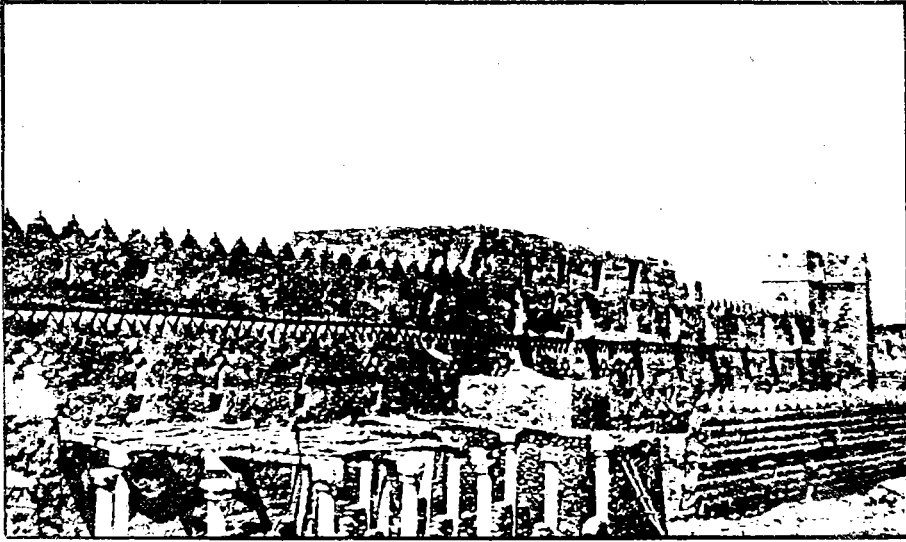
### ثالثاً - الكتب :

- ١١ - كتاب الله الكريم : القرآن .
- ١٢ - المعجم المفهرس لأي القرآن الكريم للشيخ محمد عبدالباقي .
- ١٣ - الأعلام لخير الدين الزركلى .
- ١٤ - الأسر الحاكمة في الأحساء القسم الأول لأبي عبدالرحمن بن عقيل الظاهري .
- ١٥ - الأسر الحاكمة في الأحساء القسم الثاني لأبي عبدالرحمن بن عقيل الظاهري .
- ١٦ - أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير .
- ١٧ - تحفة المستفيد في تاريخ الأحساء الطبعة الأولى الرياض لمحمد بن عبدالله آل عبدالقادر .

- ١٨ - تاريخ ابن ربيعة العوسجي : تحقيق د. عبدالله الشبل طبع النادي الأدبي بالرياض سنة ١٤٠٦هـ.
- ١٩ - تاريخ أحمد المنقور تحقيق ونشر د. عبدالعزيز الخويطر الطبعة الأولى عام ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.
- ٢٠ - تاج العروس في اللغة : للزبيدي .
- ٢١ - تاريخ البلاد العربية السعودية للدكتور منير العجلاني .
- ٢٢ - تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد تأليف ابراهيم بن صالح بن عيسى منشورات دار اليمامة بالرياض .
- ٢٣ - تاريخ الجزيرة العربية تأليف حسين خزعل .
- ٢٤ - تاريخ الفاخري - المسمى الأخبار النجدية «لمحمد بن عمر الفاخري تحقيق د. عبدالله الشبل توزيع جامعة الامام الرياض .
- ٢٥ - البيان المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب لابن عذارى المراكشى .
- ٢٦ - تذكرة أولى النهى والعرفان لابن عبيد .
- ٢٧ - روضة الأفكار والأفهام المسمى تاريخ ابن غنام تأليف حسين بن غنام الأحساني نشره أبو بطين .
- ٢٨ - روضة الناظرين للشيخ محمد بن عثمان القاضي الطبعة الأولى .
- ٢٩ - سفرنامة رحلة : ناصر خسرو ترجمة الدكتور يحيى خشاب .
- ٣٠ - سمط النجوم العوالي للعصامي .
- ٣١ - شقراء : فصول مختارة من تاريخ هذه المدينة لمؤلف هذا الكتاب .
- ٣٢ - شمال غرب الجزيرة للشيخ حمد الجاسر نشر دار اليمامة بالرياض .
- ٣٣ - صحيح الأخبار للشيخ : محمد بن عبدالله بن بليهد .
- ٣٤ - صفة جزيرة العرب للهمداني من تحقيق الأهدل نشر دار اليمامة بالرياض .
- ٣٥ - الضوء اللامع للسخاوي .
- ٣٦ - علماء نجد في ستة قرون للشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن بسام الطبعة الأولى مكة .
- ٣٧ - عقد الدرر للشيخ ابراهيم بن صالح بن عيسى منشورات وزارة المعارف بالرياض .

- ٣٨ - عنوان المجد في تاريخ نجد للشيخ عثمان بن عبدالله بن بشر الطبعة الرابعة نشر دار الملك عبدالعزيز بالرياض .
- ٣٩ - كتاب الجوهرتين العتيقتين للهمداني تحقيق ونشر الشيخ حمد الجاسر .
- ٤٠ - غاية المنتهى في الفقه منشورات المؤسسة السعيدية بالرياض .
- ٤١ - الفواكه العديدة في المسائل المفيدة - مجموع المنقور - لأحمد بن منقور الطبعة الثانية .
- ٤٢ - القرامطة نشأتهم ودولتهم وعلاقاتهم بالفاطميين ترجمة وتحقيق حسنى زينة .
- ٤٣ - مدينة حريملاء الجزء الأول تأليف صالح بن ناصر بن طعيس توزيع جامعة الإمام بالرياض .
- ٤٤ - مدينة الرياض تأليف الشيخ حمد الجاسر منشورات دار اليمامة بالرياض .
- ٤٥ - معجم البلدان لياقوت الحموي .
- ٤٦ - المعجم الجغرافي في - القصيم : لمحمد بن ناصر العبودي .
- ٤٧ - المعجم الجغرافي - عاليه نجد : لسعد بن ابراهيم الجنيدل .
- ٤٨ - معجم اليمامة للشيخ عبدالله بن محمد بن خميس الطبعة الأولى .
- ٤٩ - المنتخب في ذكر أنساب قبائل العرب : تأليف : عبدالرحمن المغيري تحقيق د. ابراهيم بن محمد بن زيد .
- ٥٠ - وفاء الوفاء للسهمودي .

## الحصون والقلاع



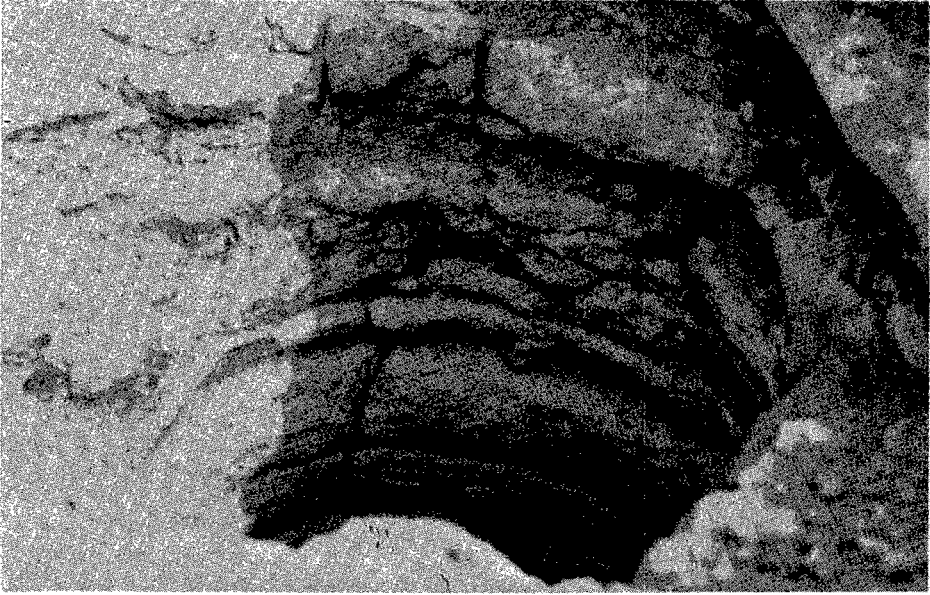
قصر



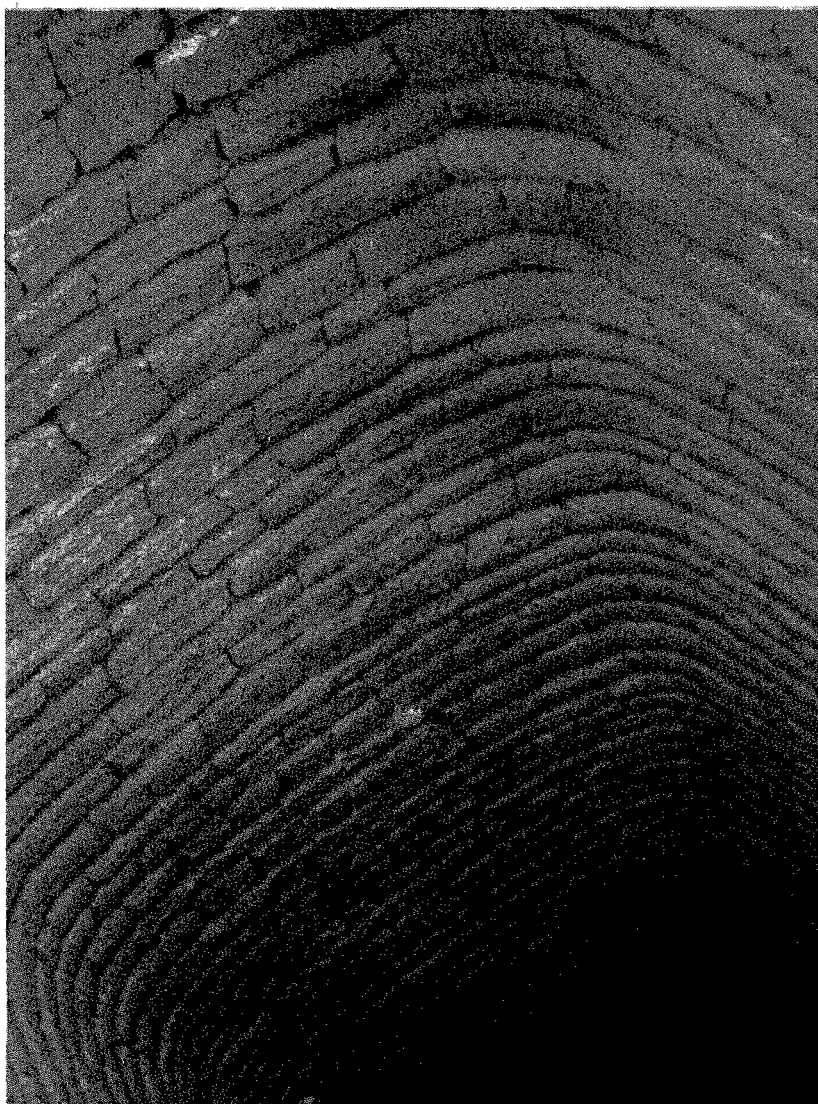
سور



مزرعة قديمه



بئر منحوته في الصخر

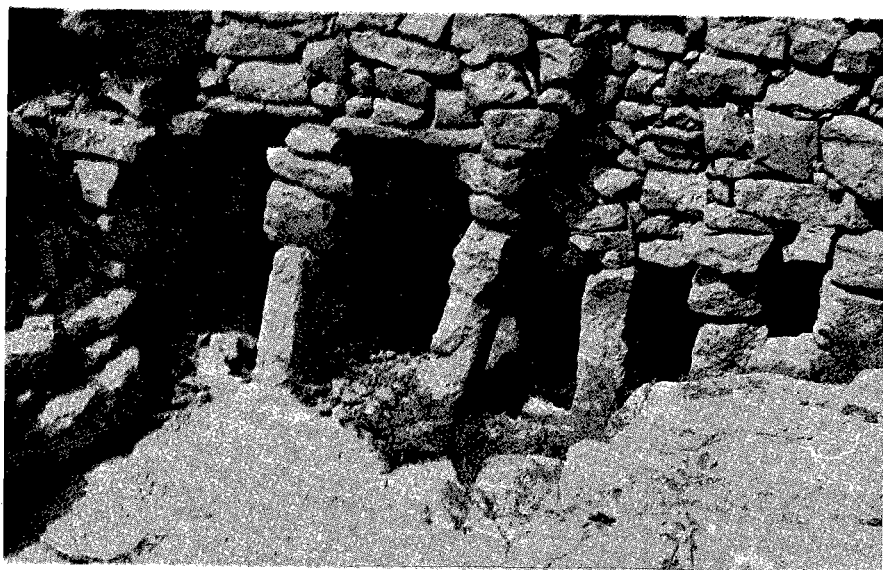


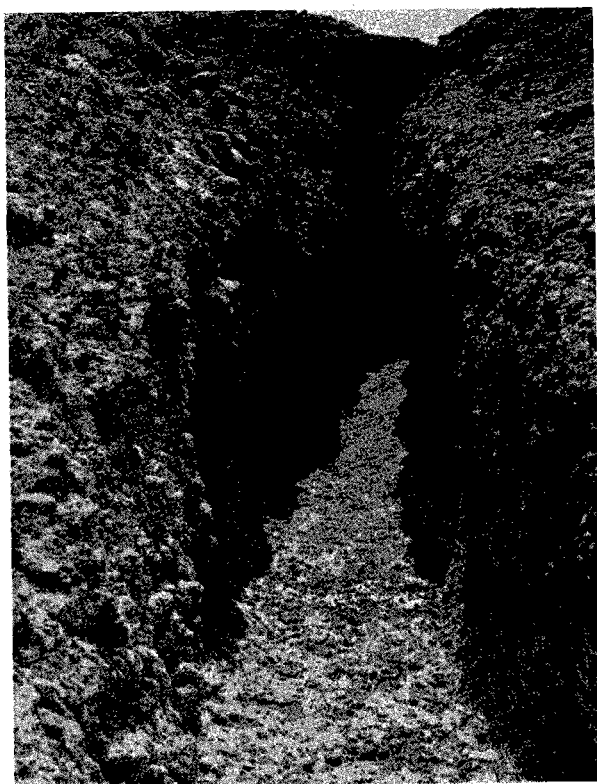
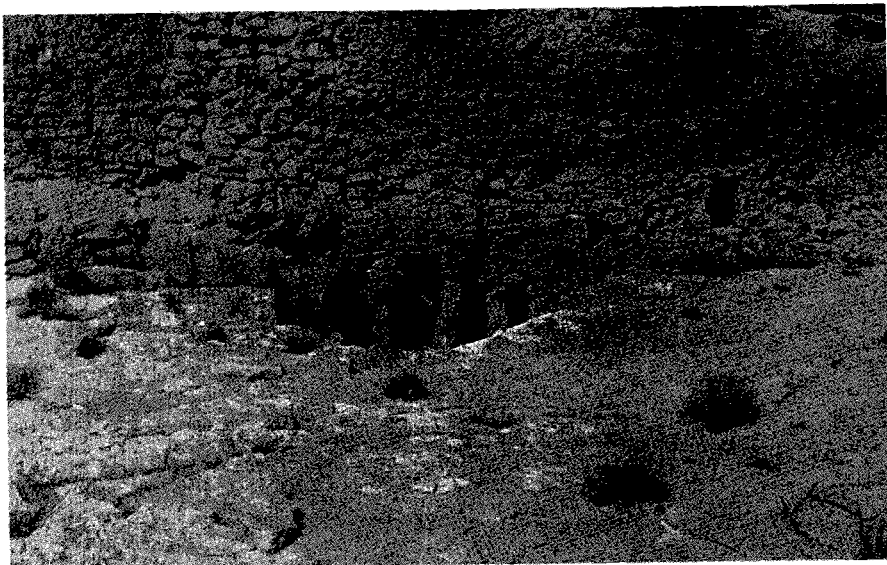
بئر مطويه بالحجر



ساقى منحوت من الحجر - قناة -

(سد)





(سد)

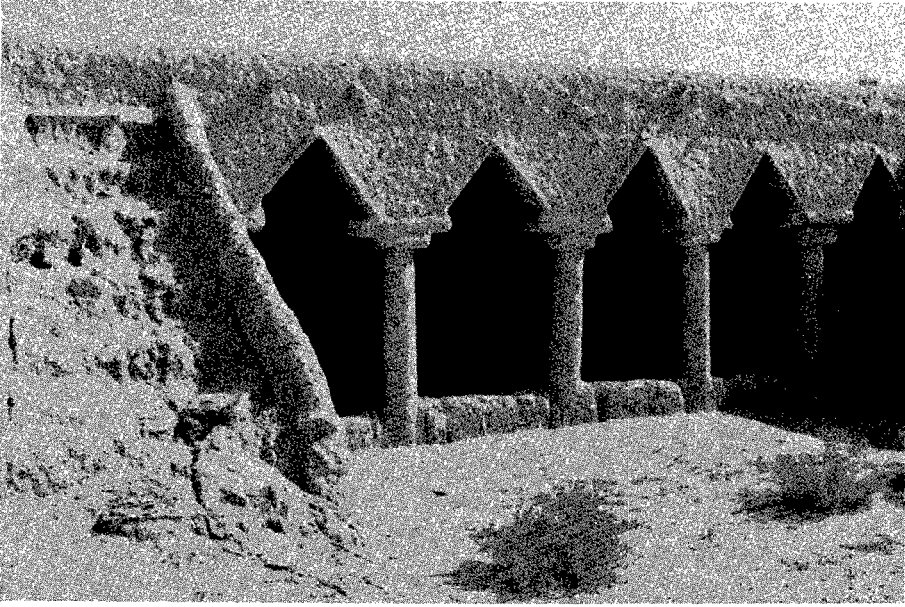


قناة محفورة في الجبل

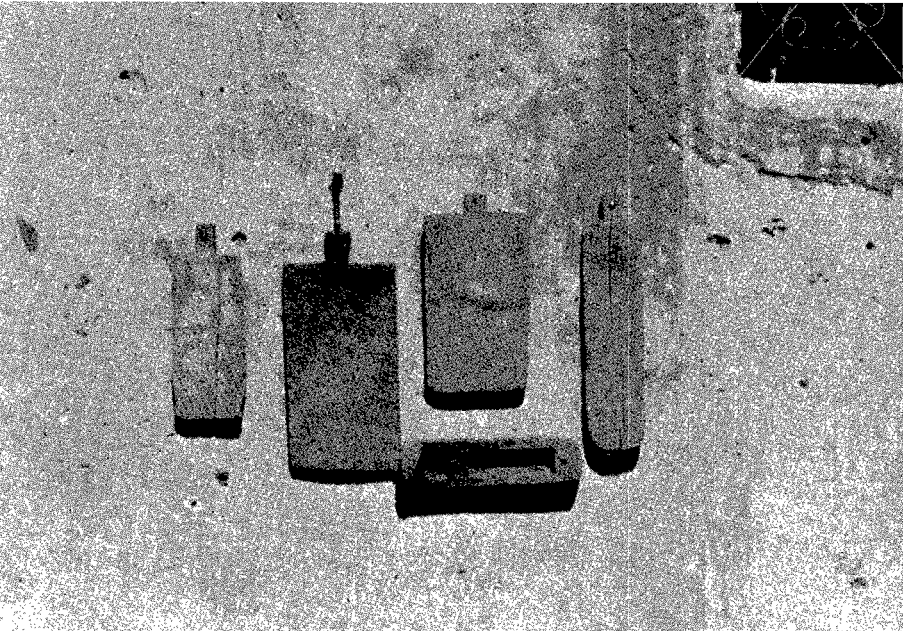




## القراءة والكتابة



مسجد قديم

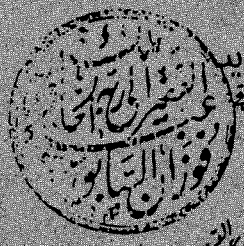


من أدوات القراءة والكتابة



مكتبة  
الشيخ  
الشيخ  
الشيخ

بسم الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلوة على سيدنا محمد وآله  
صلوة دائمة في كل الأوقات وبعد فقد نشر في هذه المكتبة بحمد  
الأمر في المنهج الشريف لآية محمد المصطفى ووقفه وحسنه على من  
هم من المسلمين ووقفه على الشريعة محمدية على يد محمد المصطفى  
ووقفه على العبد المذنب والضعيف والفقير والجاهل والجاهل  
قد وقف في هذه المكتبة المذكرة صالحة لآية محمد المصطفى  
وقفه في بلدته بريدة على جامع بريدة وحفظه في بلدته  
صالحه المذكرة المذكرة بريدة المذكرة المذكرة المذكرة  
كما تبيّن في العبد المذنب المذنب المذنب المذنب المذنب



الجزء الثاني من كتاب دافع الفوائد  
للشيخ العلامة حافظ شمس الدين أبي عبد الله المصطفى  
المجيب المعروف بابن قيم الجوزية تلميذ شيخ  
الإسلام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى وتوفي  
بها ودفن بها أيضا  
وملأه على محمد  
ووقفه

والله اعلم  
ووقفه  
ووقفه  
ووقفه

بعض صور مخطوطات المكتبة العامة بريدة وتنضح فيها أسماء الموقوفين.



كتاب الكافية للشافعية  
 للانتصار للفرقة الناجية والبيان  
 العلامة شمس الدين مفتي المسلمين أبي  
 عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف  
 بابن قيم الحنفية النبلبي رضي  
 الله عنه وصاحبه  
 جليل جنة الفردوس  
 منزله ومآله  
 آمين

قد وفق وحبس وسبل هذا الكتاب إلى الكافية الشافعية شمس  
 الدين ابن القيم رحمه الله الرازي رحمه الله الرحمان عبد الله بن عبد  
 السلام طيب الثواب الخليل من المهدى للليل وعلاء القول والبرهان  
 إذا ما أتت أدم أنطق على الأسماء تلك صدقة جارية أو علم ينتفع به بعده  
 أو ولد صالح يحسب له أعظم أسلحة الإبر والنواب ووفق كما يشرب  
 الأرباب وجعل لنا طرعا على أخاه في الله محمد بن عبد العزيز العقيقي صدقة  
 حياته وبعد على طلبة العلم في أهل بيته فإن كان في ذمته عبد الله  
 طالع علم وهو أهل لذلك فلا يجمع منه ومن كان في يده فلا يجيبه  
 ولا ينفعه المستفيد مع أمن الضمير والتلف فمن يملك بعد ما سرعه  
 فأما أنه علم المذنب بيد لونه أن الله سمع علمه ثم علم ذلك مع الحق المنبهي  
 وعلى العبد العزيز الفقار ونسبه به كاتبة محمد بن عبد العزيز الصقعي وصلى الله  
 على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين حرره من كتبه نقلته بمعرفة غير زيادة

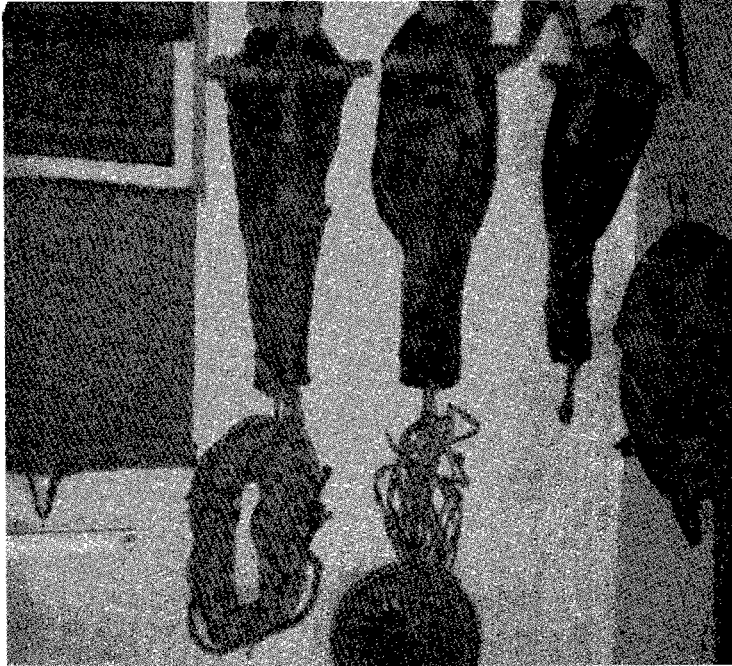


صفحة أولى من إحدى المخطوطات

## القنوات وتصريف السيول

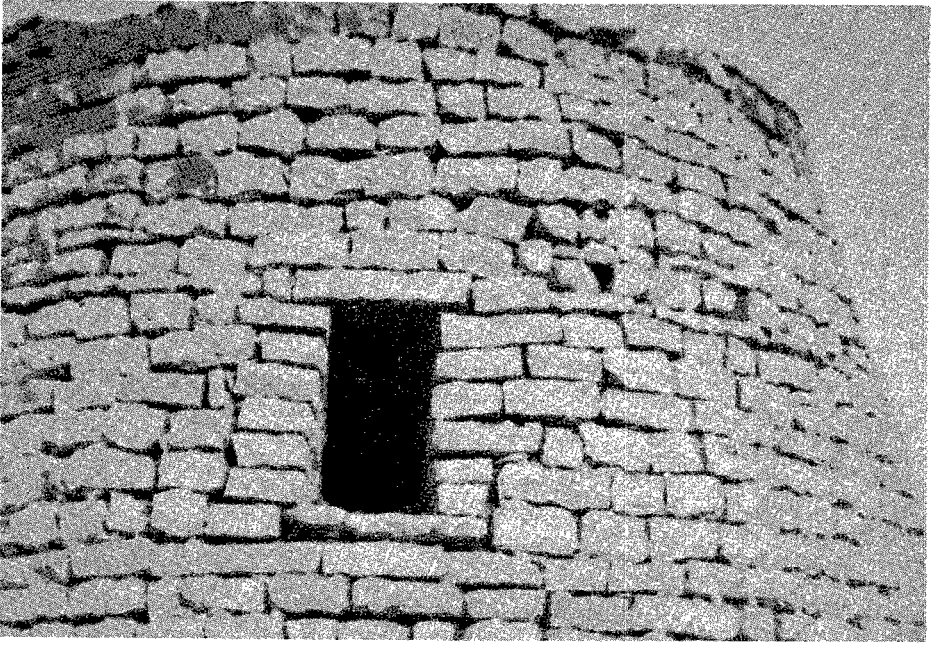


الاستفادة من تصريف السيول

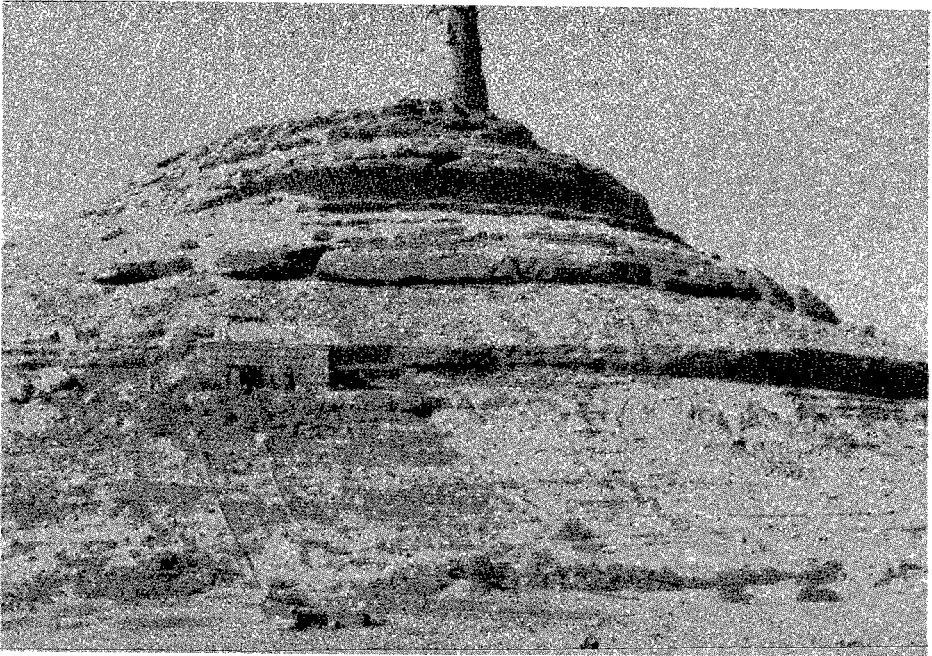


من أدوات الزراعة



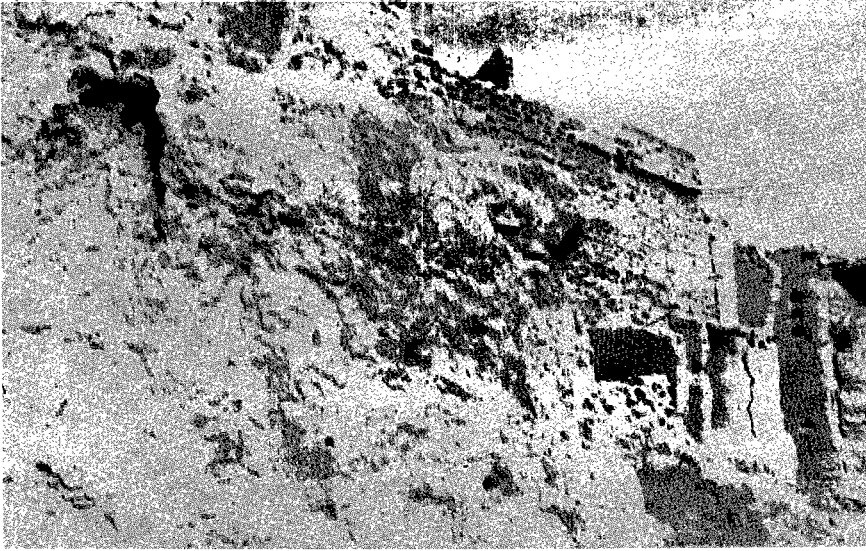


جزء من قلعة



برج مراقبة

## المساكن والفن المعماري

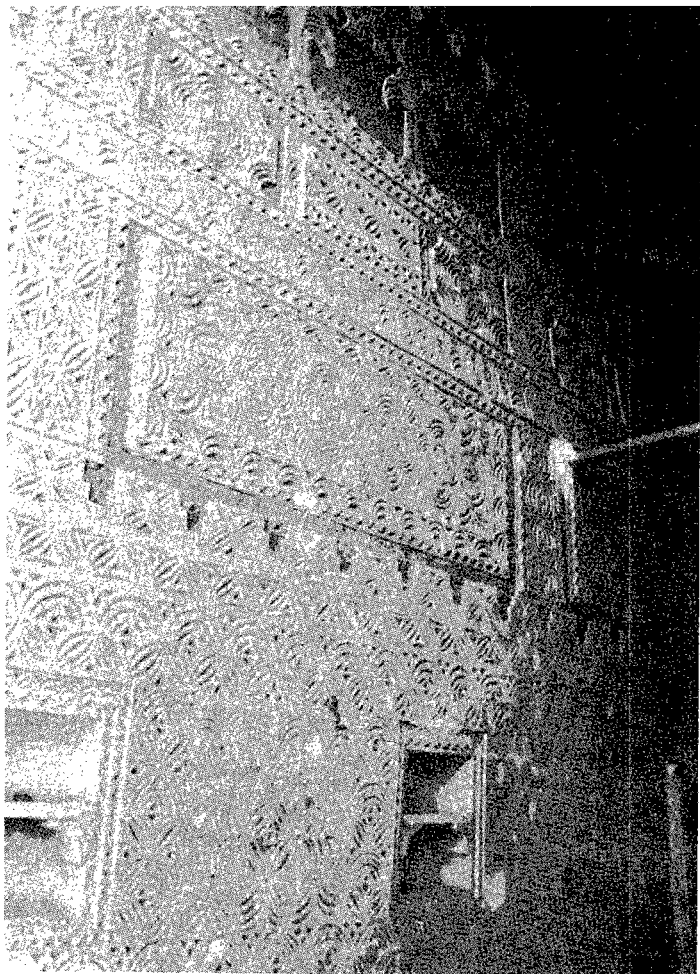


↑ مساكن انشئت بعضها  
فوق بعض وعند هذا  
الجانب من الحفريات  
نلاحظ آثار العظام  
والرماد

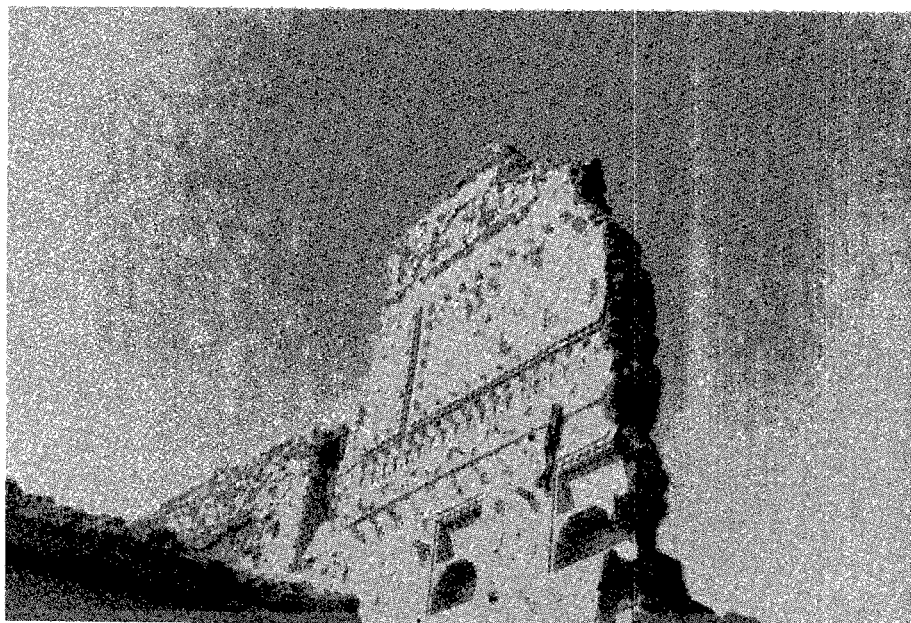
بيت المؤرخ بن بشر







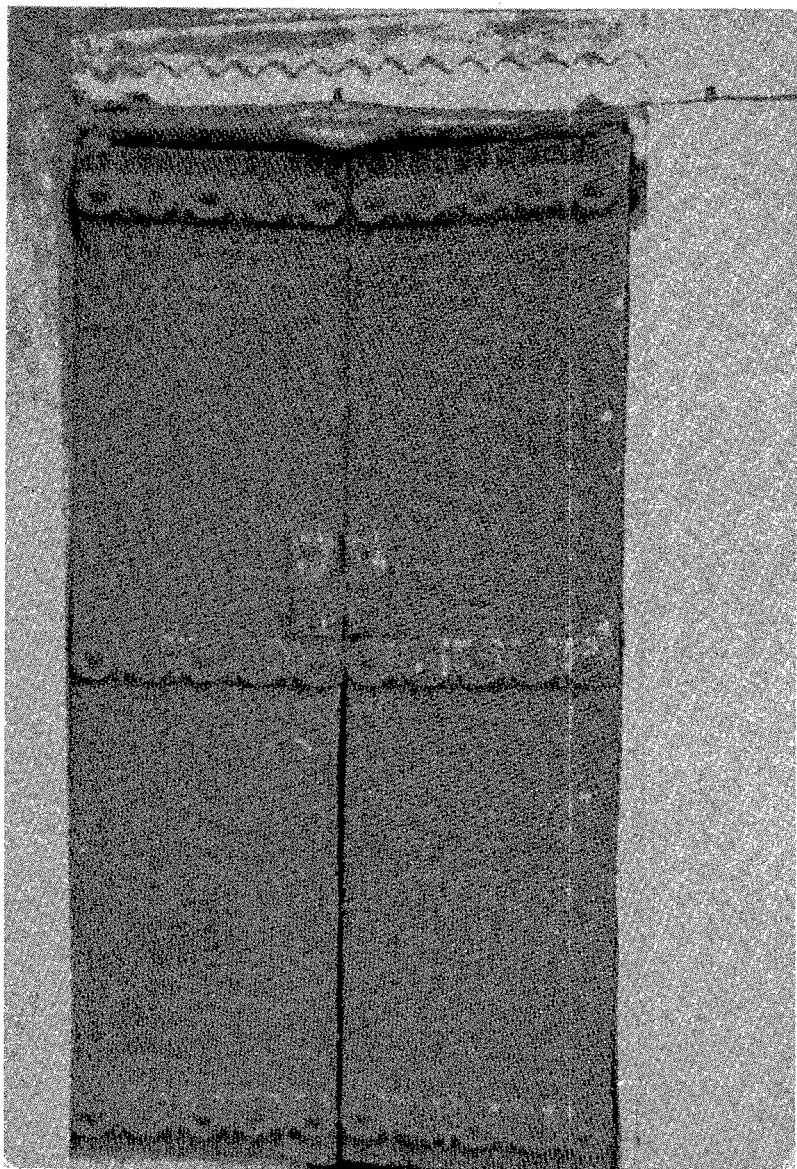
←  
مجلس



اطلال

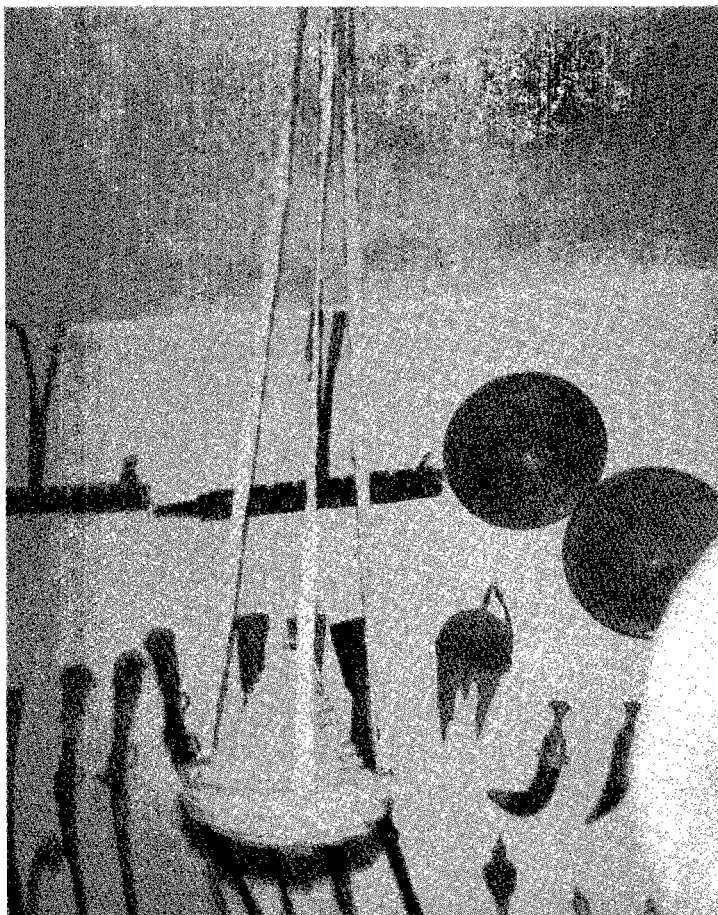
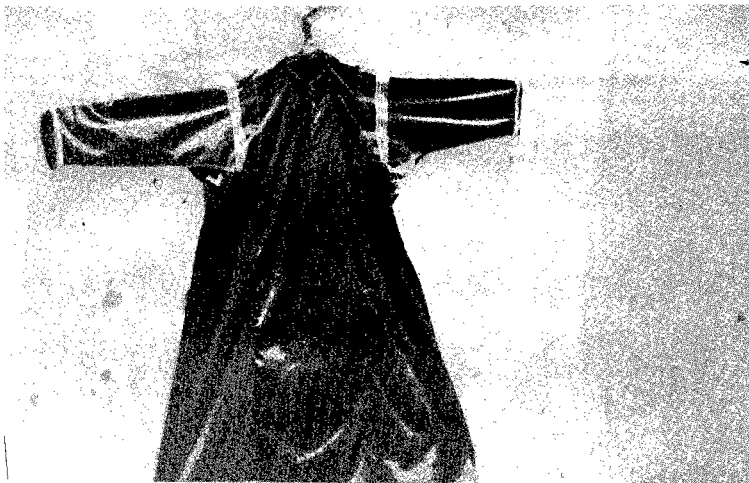


مجلس - روشن -



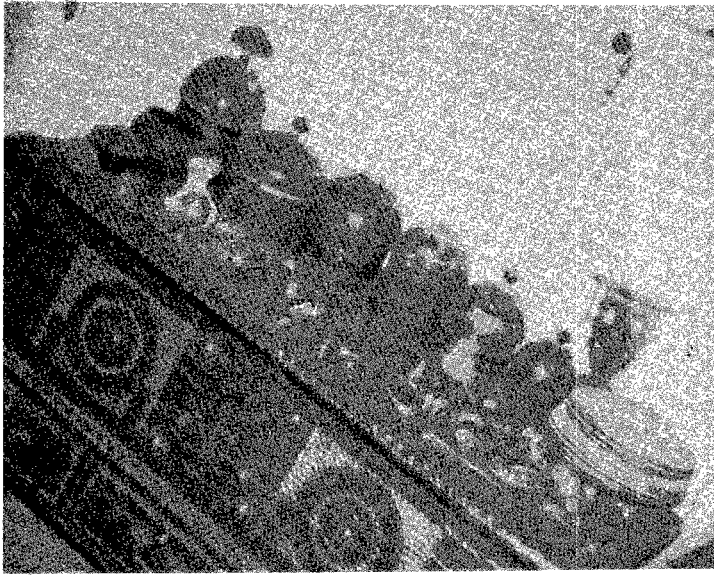
باب

دراعه



← سلاح

## الأواني والأدوات المنزلية

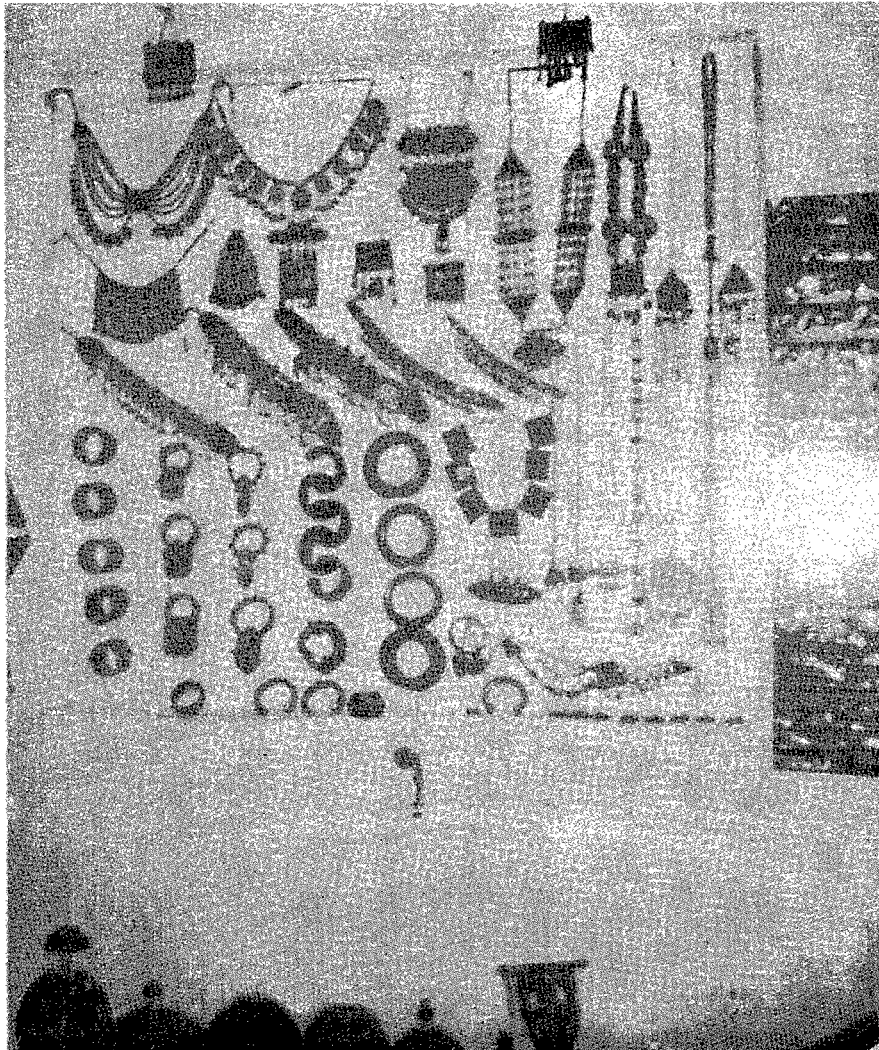


ادوات





أواني  
وأدوات  
حفظ  
الأكل



←  
حلي

## الفهرس

الموضوع	الصفحة
تمهيد .....	٥
النظرة العامة .....	٩
نماذج من معالم الحضارة .....	١٢
بناء المدن وتعمير البلدان .....	١٩
إطالاه على العلم والعلماء .....	٣٠
القضاة .....	٣٦
العلماء .....	٣٨
العلماء الذين رحلوا في طلب العلم .....	٣٨
الكتب والمكتبات وأوقافها .....	٤٠
الأوقاف العلمية .....	٤٥
الإجازات العلمية .....	٤٨
الوصايا .....	٥٦
الحصون والقللاع .....	٦٣
الأسوار التي تحمي المدن .....	٦٥
المعادن والصناعة .....	٧٥
أهمية الأسلحة وصناعاتها .....	٨٤
الزراعة والتجارة .....	٩٢
لمحة سياسة .....	٩٤
الزراعة .....	٩٨
من الملامح الاقتصادية .....	١٠٣
القوافل التجارية .....	١٠٦
شراء المدن .....	١٠٩

العملات	١١١
خاتمة	١١٨
مصادر البحث	١١٩
الفهرس	١٤١

أشكر مطابع جامعة الملك سعود التي زودتنا بأفلام هذه الصور عن  
مجموعة كتب أعرف ببلادك التي تصدر عن الشؤون الثقافية برعاية  
الشباب.

الناشر



جدول الخطأ والصواب

الخطأ	الصواب	رقم الصفحة	ملاحظات أخرى
تستقى	تستقى	٩	انتت كلمة رابعاً في صفحة
سقرنامه	سفرنامه	١٢	٢٣ وكلمة ثالثاً في صفحة
١٢٤٥	١٣٤٥	٥٠	٢٤ والعكس هو الصحيح
للزراكلي	للزركلي	٥٢	
المتوفى عا	المتوفى عام	٥٦	
راجع كتاب الفاحتي	راجع ٢: ٣٦٤ من هذا الكتاب	٧٢	
وما يتعبها	وما يتبعها	٧٣	
من القرن الهجري	من القرن الحادي عشر الهجري	٧٥	
كحمي للبلد	كحمي للبلد	٨٥	
لصنيع	لتصنيع	٨٨	بعد كلمة: الفترة تلك،
امتثالاً =	امتثالاً	٩٠	وردت كلمة: الحقب
شمالاً =	شمالاً	٩٩	الزمنية، وهي ليست في الأصل.
الفترة تلك	تلك الفترة	٩٤	
السنة الأولى	السنة الأولى	٩٦	
يلجى الناس	يلجأ الناس	١٠٧	
بمساعدة	بمساعدة	١١٣	ثمة بعض الاخطاء
شيزار	شيراز	١١٦	البسيطة وهي لاتخفى على
تجريد	تجهيز		فطنة القارئ.
فيعني بها	فيعني بها		
ولم يعطوها	ولم يعطوهم		
١٣٩٠	١٢٩٠		
المنطق	المحقق		
المملكة	الملكة		



مطابع المزودق التجارية - الرياض

تلفون : ٤٨٢٤٨٦٥ - ٤٨٢٤٩٨٣



